المشرق

الدين المسيحي والترقي المدني

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

ان اللورد كرومر معتمد الدولة الانكليزية في مصر سابقاً كان قد نشر كتاباً عن « مصر الحديثة » تكلم فيه عن الاسلام والمسلمين ونسب تقهقرهم الى الدين . فاستاء منهُ المسلمون وردُّوا عليه . ومن جملتهم جناب الشيخ مصطفى الغلاييني في كتاب لهُ سمّاه « الاسلام روح المدنية : او الاسلام وكرومر » ولمّا نفدت الطبعة الاولى اعاد طبعه واهدى الينا منهُ نسخة

انّنا نعترف لهُ بحقّ الدفاع عن دينه بما يراه صواباً . والغيرة على الدين تُحمد . ولو اكتفى حضرته بالدفاع لَما آخذناه . لكنه تخطّى الى الغمز بالدين المسيحي والانجيل واوّل آياته تأويلاً لا ينطبق على الحقيقة فحاول في الفصلين الرابع والخامس ان يُبيّن ان تعليم الانجيل ينافي الترقي الذي يطنطن بهِ اللورد كرومر . فنقول لجناب الشيخ انهُ لم ينظر في الانجيل الاّ الى المعنى الظاهر من الالفاظ دون المعنى الذي قصده السيد المسيح كما سنبيّنهُ

وقبل ان نخوض في الموضوع يلزمنا ان نبيّن ما هو الترقي :

ان الترقي الحقيقي لا يقوم بالترقي المادّي فقط بل خاصةً بالترقي الادبي لان الترقي المادّي ان لم يصحبه الادبي كان كسيفٍ ذي حدَّين لا قبضة لهُ يجرح ويؤذي من يستعملهُ . وقد صرَّح بذلك حضرة الشيخ (ص٥٠) اذ حدَّد الترقي « بتهذيب النفس والعقل والتحلّي بمكارم الاخلاق ومحاسن الآداب » . وقد اقرّ الشيخ (ص ٥٩) ان الدين المسيحي « هو اخروي بحت يُراد بهِ ترقّي

النفس وتهذيبها واحتقار الدنيا وما فيها كما قدّمنا .فالدين المسيحي إذن دين اخروي ليس الّا » . فترضى بوصف الشيخ للدين المسيحي مع استثناء الالفاظ « بحت» و« ليس الّا » . لانّ المرء ان هذّب النفس وترفّع عن الدنيويّات كان عقله اسرع قبولًا للعلوم ذكيّ الفهم كما ان الزجاج النقيّ تجتازه اشعّة الشمس وكما ان العين الصحيحة تبتهج بالنور. ومن ثمّ فعقل الانسان المسيحي المهذَّب بالدين هو اكثر قبولًا للآداب والعلوم الالهية والفلسفية والرياضية والطبيعية والهندسية والصناعية وعلم الهيئة والنبات والتاريخ والجيولوجية ولكل اختراعٍ مُفيد بذاته للانسانية . ونرى فعلاً ان معظم المخترعين والعلماء الذين كشفوا اسرار الطبيعة هم من المسيحيين وقد تفوّقوا على غيرهم في كل العلوم والفنون. ونرى ايضاً الناس المترفهين في دنياهم قلّما تنفتح عقولهم للعلوم لكونهم اجسادًا اكثر منهم نفوساً كما قال الربّ (سفر التكوين ٦ : ٣) « لا تحِلّ روحي على الانسان ابدًا لانه جسد» فهم كالزجاج المطليّ بالاسبيداج لا تخرقه اشعّة الشمس وكالعين الرمداء لا تطيق النور فتغمض جفونها عنهُ . فصحّ اذًا ان الدين المسيحي هو اقوى عامل للترقي الحقيقي الادبي والمدني. ولا يُستنتج من قولنا هذا ان الترقي يشمل جميع المسيحيين . فان حُكمنا يختصّ بالدين كعامل للترقي فلا يشمل الجميع لانه يوجد من المسيحيين مَن لا يتأدّبون بالدين المسيحي ولا يعملون بمقتضى شرائعه فهؤلاء هم مسيحيون بالاسم فقط

بعد ان بيّنا ما هو الترقي يلزمنا ان ننتقد ما قالهُ الشيخ (ص ٥٠) عن الانجيل والدين المسيحي اذ كتب ان تعاليمه « تأمرنا بعدم الترقي في الدنيا وعدم الاستعداد الّا لما بعد الموت» قال جنابه (ص ٤٨) :

« ونحن نقول للورد كرومر : ما هو الترقّي المسيحي الذي تمنيه ؟ ان كان ما هو مسطور في كتب الدين المسيحي فقد ظلمت في الحكم . لان معتمد كتب الديانة عندكم هو الانجيل ونحن نرى ان جلّ ما في الانجيل تاريخ السيد المسيح صلوات الله عليه في هذا العالم وبعد انتقاله الى العالم الآخر. وما فيه من سوى ذلك فكلّه حاثّ على ترك العالم الفاني وعدم الالتفات اليه بوجهٍ من الوجوه الّا ما يسدّ الرمق . وهو يؤنّب الاغنياء والامراء اشدّ التأنيب ويوبخ من يسعى للدنيا اقرع التوبيخ . وخير ما فيه كما يقول المسيحيون خطبة الجبل بل بالغ بعضهم فقال : انما هي الديانة المسيحية . وكلها امرٌ بالتمسك بالعالم الباقي وترك الدنيا ومن يسعى لها .

هذا وان الانقطاع عن الدنيا اصل من اصول الديانة المسيحية حتى صرّح في الانجيل بما نصّه: لا تقدرون ان تخدموا الله والمال . لذلك اقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون اليست الحياة افضل من الطعام والجسد افضل من اللباس ؟ ولكن اطلبوا اولاً ملكوت الله وبرّه وهذه كلّها تزاد لكم . فلا تهتموا للغد لان الغد يهتم بما لنفسه . يكفي اليوم شرّه . الحق اقول لكم انهُ يعسر ان يدخل غني ملكوت السموات . واقول لكم ايضاً: ان مرور جمل من ثقب ابرة ايسر من أن يدخل غني ملكوت الله . لا تقتنوا ذهباً ولا فضّةً ولا نحاساً في مناطقكم ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا عصا الخ»

فماذا يظنّ الشيخ انهُ يُستنتج من كلام السيد المسيح ؟ ان نتكتّف وننتظر من القضاء والقدر معاشنا في ما يخصّ الطعام واللباس والمأوى ؟ ان اقوال الانجيل هي الحكمة بالذات فاذا قال لنا السيد المسيح : « لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا لاجسادكم بما تلبسون الخ» . فليس المعنى ان الله يطعمنا ويسقينا ويكسونا دون جدّ وسعي من قِبلنا بل المعنى ان نسعى لمعاشنا متكلين على عناية ابينا السماوي . فقد علّمنا السيد المسيح في الصلاة الربية ان نطلب قوت يومنا وما نحتاج اليه . ونعلم ايضاً ان الله قال لآدم « بعرق وجهك تأكل خبزك » . « ملعونة الارض بسببك بمشقة تأكل منها طول ايام حياتك وشوكاً وحسكاً تُنبت لك » . فلا يخفى على الشيخ ان الاقبال المفرط على الخيرات الدنيوية والتعلّق الزائد بها وجمع الاموال بنوع يُشغل المرء عن عبادة ربّه ويُلهيه عن خلاص نفسه ممّا يطوّح بهِ ويحمله على كثير من الذنوب . والانسان ميّال طبعاً الى الخيرات الارضيّة فان لم يكبح هذا الميل ويحصره ضمن حدود معقولة ألقاه في لجة من الهموم فينسى خالقه ويترك عبادته وما يترتب عليهِ من تأديةِ الواجبات لربّه فيأثم ويهلك . هذا ما عناه السيد المسيح اذ قال انهُ يصعب على الغني دخول ملكوت السموات لانهُ يغرق في بحر غناه ويختنق . وقد اثبت ذلك السيد المسيح في مثل الزرع (ويعني بالزرع كلام الله المُلقى في عقول السامعين) . فقال عن الزرع الذي سقط في الشوك ان الشوك نبت معه فخنقه وفسّر المثل فقال : « الذي سقط في الشوك هم الذين يسمعون ثم يذهبون فيختنقون بالهموم والغنى وملذات الحياة فلا يأتون بثمر » (لوقا ٨ : ١٤) . وقال ايضاً السيد المسيح : « حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك » (متى ٦ : ٢١) .

فان جعلنا كثرنا الخيرات الدنيوية وحدها تتعلق بها قلبنا ونسينا ربنا . الامر الذي لا يريده لنا جناب الشيخ

واذ كانت النفس اهم من الجسد بما لا يُقدَّر لان خلاصها او هلاكها يصحبه خلاص او هلاك الجسد في يوم الحشر فتلزمنا الحكمة ان نفضل النفس على الجسد. ومعلوم ان الانسان لا يحتاج الى الحث على اقتناء الغنى لانه يميل اليه طبعاً لكنه هو في حاجة ماسة الى ان يُحرَّض على الاقتصاد والزهد فيه . هذا ما علمه السيد المسيح فانهُ لا يحرّم الغنى بل التعلق بهِ المفرط

واي واعظ من المسلمين ان كتب او خطب في الجوامع لا « يوبخ من يسعى للدنيا اقرع التوبيخ » . اقرأ الخطب التي في نهج البلاغة تتحقق صحة ما نقوله . اسمع ايضاً ، رعاك الله ، كيف يؤنب الزمخشري من يعبد الدينار والدرهم . قال في المقالة ٣٣ من كتابه « اطواق الذهب » :

« يا عبد الدينار والدرهم متى انت عتيقهما . ويا اسير الحرص والطمع متى انت طليقهما . هيهات لا عتاق الآن تكاتب على دينك الممزّق . ولا إطلاق او تفادي بخيرك الممزّق . يا من يشبه القرص . ما هذا الحرص . ويا من تُرويه الجُرَع . ما هذا الجزع . ستعلم غداً اذا تندمت . ان ليس لك الّا ما قدّمت . واذا لقيت المنون . لم ينفعك مال ولا بنون . ما يصنع بالقناطير المقنطرة . عابر هذه القنطرة . وما يريد من البهجة والفرحة . نازل ظل هذه السرحة »

فاذا كانت مثل هذه المواعظ الموجَّهة الى المسلمين تبيح لهم مع ذلك الخيرات الدنيوية بشرط ان لا تمنعهم عن تأدية ما عليهم من الواجبات لله وللقريب . فلماذا جناب الشيخ يستنتج من وعظ السيد المسيح انهُ يحرّم علينا «الالتفات الى العالم الفاني بوجه من الوجوه الّا ما يسدّ الرمق» اذا كنّا لا نعبد المال كربّ بل نستعمله كواسطة للمعيشة ولعمل الخير . فيرى الشيخ ان تأويله لاقوال الانجيل لم يكن مُصيباً . فالمسيح لا يحرّم علينا امتلاك الخيرات الدنيوية بل يريد ان لا نعطيها في اعتبارنا وفي سعينا لتحصيلها الّا المقام الثاني وان نخصص المقام الاول لعبادة ربّنا والاعتناء بخلاص نفسنا . وقد بيّن ذلك بقوله «اطلبوا اولًا ملكوت الله وبرّه وهذا كله يزاد لكم » (متى ٦ : ٣٣) . وبقوله « لا تقدرون ان تعبدوا الله والمال » (متى ٦ : ٢٤) . فقل لي بحياتك ايها الشيخ كم من الاغنياء يعبدون المال ويهملون عبادة الله اذ يجمعون المال بالطرق

الحرمة والظلم او ينفقونه بما يضادّ الشريعة الالهية او يخزنونه بخلًا منهم فلا يجودون بشيء منهُ في سبيل البرّ. فمثل هؤلاء يعبدون المال فلا يقدرون ان يعبدوا الله فيصدق فيهم ما قاله السيد المسيح « انهُ لأسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غني ملكوت السموات » (متى ١٩: ٢٤) . اما الاغنياء الذين لا يمنعهم غناهم عن عبادة ربهم بل يخصّصون قسماً وافرًا منهُ لعمل البرّ فيستحقون كل مديح وقد مدح السيد المسيح زكّا الذي كان رئيس العشّارين وغنيًا فقال لهُ « اليوم قد حصل الخلاص لهذا البيت » (لوقا ١٩: ٩) لان زكّا كان قال للرب «هاءنذا يا رب اعطي المساكين نصف اموالي وان كنتُ قد غبنت احدًا في شيء اردّ اربعة اضعاف » (لوقا ١٩ : ٨) افينكر الشيخ ان بين المسيحيين خاصّة في اوربة عددًا وافرًا من الاغنياء يملكون المال ولا يدعون المال يملك عليهم فيقتنونه بالعدل والجدّ ولا ينفقونهُ في الحرام ويجودون بهِ على الفقراء والمعوزين والارامل والايتام وكل عمل خيري . فاذا اعطاهم الله شكروا وان سلبهم لم يتذمروا ولم يأثموا ولم يقولوا في الله جهلًا بل يرددون مع ايوب الصدّيق : « الرب اعطى والرب اخذ فليكن اسم الرب مباركًا . » فمثل هؤلاء لا يوبخهم السيد المسيح اقرع التوبيخ لاقتنائهم الخيرات الدنيوية

فباي حقّ ينفي الشيخ . في تعليم الدين المسيحي ما نسبه (ص ٥١) لدين الاسلام اذ قال : « الزهد في الدنيا المطلوب شرعاً هو ان لا يغترّ المرء بزخارفها ويصبو الى مشتهياتها ان كان شيء من ذلك يضرّ بأمر الدين وأن يكون ما عنده من الاموال في يده لا في قلبه بحيث يصرفه في وجوهه المشروعة متى دُعي الى ذلك لا ان يهمل الاشغال والاعمال ويكون كلًّا على العباد » . نعمًا القول ولكن نسأل الشيخ اين يجد هذا الزهد اكثر وفورًا أعند المسلمين ام عند المسيحيين . لعمري انهُ عند المسيحيين لأوفر

وجدير بالاعتبار ان السيد المسيح وهو الذي نهى تلاميذه عن اقتناء الذهب والفضة كان يحفظ ما يقدّمهُ لهُ من الصدقة تابعوه الرجال والنساء . وقد اشار الى ذلك يوحنا في انجيله (١٢ : ٦) اذ قال عن يهوذا الاسخريوطي احد رسل

المسيح الذي خانه وباعه واسلمه الى اعدائه « انهُ كان سارقاً وكان الكيس عنده وكان يحمل ما يُلقى فيه »

فترى حفظك الله ان السيد المسيح كان يقتني المال لمعيشته ومعيشة تلاميذه واسعاف الفقراء كما يتضح مما ورد في انجيل يوحنا (١٣: ٢٩) « فظنَّ بعضهم اذ كان الكيس عند يهوذا ان يسوع قال لهُ اشترِ ما نحتاج اليه للعيد او امرهُ ان يعطي المساكين شيئاً » . ونتعلم ايضاً من مثل الرسول الخائن ان الغنى اذا تعلّقنا به تعلقاً غير معقول يدفعنا الى ارتكاب افظع الآثام . ومن ثم قد اظهر السيد المسيح حكمة إلهيّة اذ قرَّع من يسعى لدنياه وينسى ربّه والغاية الوحيدة التي خُلق لاجلها فاننا خُلقنا الله لنعبدهُ ونربح الحياة الخالدة في السماء وليست الخيرات الدنيوية الّا واسطة لبلوغ غايتنا فاذا اصبحت مانعاً وكثيرًا ما تكون مانعاً ، بما فينا من الميل اليها ، فلا بدّ من رفضها والتضحية بها احرى من التضحية بالنفس

ولم يُدرك جناب الشيخ الحقيقة في قصة حننيا التي وردت في الفصل الخامس من اعمال الرسل واشار اليها في كتابه (ص٤٩) . فان ما كان يلقيه المؤمنون من اثمان مبيعاتهم عند اقدام الرسل لم يكن « هدية للرسل » كما ذكر الشيخ بل نذرًا للربّ ينذرونه برضاهم لا اضطرارًا. يتضح ذلك مما قاله بطرس لحننيا « الم يكن لك (ملكك) مدة بقائه وبعد أن بيع الم يكن في سلطانك . فلماذا جعلت في قلبك هذا الامر ، انك لم تكذب على الناس بل على الله » (اعمال ٥: ٤) . فكان يتحتم على المؤمنين اذا نذروا ان يفوا بنذرهم لئلّا يأثموا . كما ورد في كتاب الله (الجامعة ٥: ٣و٤) « اذا نذرت نذرًا لله فلا تؤجل الايفاء. فانهُ لا يرضى عن الجهّال فأوفِ ما نذرت . أن لا تنذر خير من ان تنذر ولا توفي » . ولو تأنى الشيخ في قراءة القصة لكان فهم حقيقة معناها . قال سفر الاعمال : « لم يكن احدٌ يقول عن شيء يملكهُ انهُ خاص بهِ بل كان لهم كل شيء مشتركاً . . . لم يكن فيهم محتاج لانَّ كل الذين كانوا يملكون ضياعاً او بيوتاً كانوا يبيعونها ويأتون باثمان المبيعات ويلقونها عند اقدام الرسل فيوزَّع لكل واحد على قدر احتياجه » (اعمال ٤: ٣٢و٣٤و٣٥)

ولم يُصب ايضاً الشيخ في ما كتبه عن الموادعة والمسالمة التي قال انها من احكام الدين المسيحي ولا في تاويله نصيحة السيد المسيح ان نُدير الخدَّ الايسر لمن لطمنا على الايمن وان لا نجاري المسيء الّا بالخير الخ . فاسمع رعاك الله ما كتب (ص ٤٩) :

«ان من احكام الدين المسيحي ايضاً الموادعة والمسالمة لكل من اراد المسيحي بسوء فهو يأمره ان يُدير الخد الايسر لمن يلطمه على الايمن وان لا يجازي المسيء الا بالخير الى غير ذلك من الاحكام التي لو تمسَّك بها المسيحيون اليوم وتعلقت باهدابها الدول النصرانية لكانت اذلّ امم الارض ولمّا قام لهم قائمة ولما عزّت لهم شوكة بل كانوا طعمة لغيرهم لان مقتضاها ان من ارادهم بشرّ يجب عليهم ان يسالموه ولا يقابلوه بمثل اعتدائه وشرّه . فهو لو غصب منهم مقاطعة وجب عليهم ان يعطوه مقاطعة اخرى جزاء عدوانه وبغيه . وهكذا الى ان يبقوا تحت نير غيرهم وحكم كل متسلط يعتدي عليهم . فما هو اذن ذلك الترقي المسيحي الذي يفتخر به كرومر . وان دينه يأمره بعدم الترقي في الدنيا وعدم الاستعداد الّا لما بعد الموت . ان كنتم متمسكين بالآداب المسيحية التي تدَّعون انها سبب رقيكم ونجاحكم فلمَ تسمون للدنيا سيكم العروف وتشنّون الحروب وتهيمون الدماء بيع الماء للحصول على لذة التحكم والغلبة اراكم لم تعملوا بالآداب المسيحية بل بضدها فلستم اذاً مسيحيين وهذا الترقي ليس مسيحياً . الترقي المسيحي الذي يأمر به الانجيل هو اخروي بحت يراد به ترقي النفس وتهذيبها واحتقار الدنيا وما فيها كما قدَّمنا فالدين المسيحي اذن دين اخروي ليس الّا»

فنشكر لحضرة الشيخ وصفه الدين المسيحي بأنهُ يرقي النفس ويهذبها ويجعلها تحتقر الدنيا وما فيها . ولكن لا نسلّم لهُ بان السيد المسيح أراد كل النتائج التي استخرجها جناب الشيخ من اقوال الانجيل . وبما انهُ مطلع على الانجيل كما يظهر لنا لا يخفى عليه ان السيد المسيح لُطم على خده امام محفل اليهود ، لطمهُ احد الخدم لانهُ اجاب رئيس الكهنة . فلم يُذكر ان المسيح ادار للخادم الخد الآخر ليلطمه ثانيةً . فلماذا لم يعمل ما سبق وحرّض عليه تلاميذه وهو مثال للمسيحيين في كل شيء وقد اكّد ان «الذي يعمل ويعلّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات» (متى ٥ : ١٩) . فالسيد المسيح ليس فقط لم يُدِر الخدّ الآخر بل التفت الى الخادم وقال له : «ان كنتُ تكلمتُ بسوء فاشهد عليّ بالسوء وان بخير فلماذا تضربني» (يوحنا ١٨ : ٢٣)

فيرى الشيخ ان المعنى ليس كما يظن بل ان السيد المسيح اراد منع ما هو مذموم في الغيظ والغضب لا ما هو ممدوح . فالانسان الغير الوديع كثيراً ما

يدفعه طبعه الشرس اذا غضب الى ارتكاب ما لا يُحمد من تعدٍّ وشتم ومشاجرة وانتقام وضرب وقتل . الامر الذي لا يرضاه جناب الشيخ وكل انسان عاقل مسيحياً كان ام يهودياً ام مسلماً . فلكي يبعدنا السيد المسيح عن كل هذه الشرور غالى في كلامه ليرسخ في عقول السامعين تعليمه وقال : « من لطمك على خدك الايمن فحوّل له الآخر » (متى ٥:٣٩) . وهكذا الحكم في ما يلي هذه الآية . لان الشريعة الموسوية كانت « العين بالعين والسنّ بالسنّ » فاراد السيد المسيح ان يُبدل هذه الشريعة بشريعة المحبة والموادعة والمسالمة والمسامحة . وقد قال لنا « تعلّموا مني اني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لانفسكم » (متى ١١ : ٢٩) ومع ذلك كان اذا اقتضى الامر يقرّع الكتبة والفريسيين امرّ تقريع . قال (متى ٢٣ : ٢٣ — ٣٣) « الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون فانكم تُعشّرون النعنع والشبث والكمّون وتتركون أثقل ما في الناموس وهو العدل والرحمة والايمان . وكان ينبغي ان تعملوا هذه ولا تتركوا تلك . ايها القادة العميان الذين يُصفّون من البعوضة ويبلعون الجمل . الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون فانكم تنقّون خارج الكأس والجام وداخلهما مملوء خطفاً ودعارةً . ايها الفريسي الاعمى نقِّ اوّلاً داخل الكاس والجام حتى يتطهّر خارجهما ايضاً . الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون فانكم تُشبهون القبور المجصّصة التي تُرى للناس من خارجها حسنة وهي من داخلها مملوءة عظام اموات وكل نجاسة . كذلك انتم يرى الناس ظاهركم مثل الصديقين وأنتم من داخل ممتلئون رئاء وإثماً . الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون فانكم تُشيّدون قبور الانبياء وتزيّنون مدافن الصديقين وتقولون لو كنّا في أيام آبائنا لما كنّا شاركناهم في دم الانبياء . فانتم تشهدون على أنفسكم انكم بنو قتلة الانبياء . فتمّموا انتم مكيال آبائكم . ايها الحيّات اولاد الافاعي كيف تهربون من دينونة جهنم »

هذا هو لعمري الترقي المسيحي الشريف والجميل والممدوح ان نكون مثل المسيح ربّنا ودعاء متواضعين مسامحين لا نمزّق الاعراض والاجسام كالوحوش الضارية وان لا نكون مع ذلك ضعفاء بل ابطالاً نغضب لله وللحق والفضيلة

والدين كالمكابيين الذين ببسالتهم اعادوا مجد أمتهم . ولا يخفى عليك ان جمعية الامم تسعى للوصول الى الترقي المسيحي بان كل خلاف يقع بين الامم والممالك يسوّى بالتي هي احسن اي بالمسالمة والوادعة لا بالعداوة والقوة والسلاح. هذا هو روح المسيح وروح كنيسته فاذا كان الدين المسيحي يرغب الينا ان نكون متواضعين وودعاء ومسالمين فلا يطلب منا ان نكون جبناء وان نترك حقوقنا تُهضم . وما سبب اقامة المحاكم . أليس لتأخذ للمظلوم من الظالم اللهمّ اذا جرت المحاكم بمقتضى العدل ولم تقبل الرشوة التي ينهى عنها الدين المسيحي . ايرضى الشيخ للانسان الذي قاسى الضيم من عدوه ان ينتقم لذاته

وليعلم الشيخ ان ترقي الافراد يختلف عن ترقي الجماعة والحكومة فترقي الأمّة والحكومة لا يقوم بان تزهد في حطام الدنيا وتلازم الفقر وتُغضي على الاذى وتصبر على الضيم وان تعامل بالمغفرة من اساء اليها متعدياً على حقوقها . بل يقوم بان تكون عادلة في شرائعها وحكامها وقضاتها محافظة على حقوق الامة والافراد فلا تسمح بان تُهضم . وان تكون غنية قوية بالعَدد والعُدد يمكنها ان تدافع برًّا وبحرًا عن ممتلكات الأمّة وحدود المملكة لئلا يغتصبها عدوّ وان تساعد ابناءها على كسب المعيشة بتنشيط العلوم والاختراعات والفلاحة والصناعة والتجارة . وان تسهّل المواصلات بين اطراف البلاد بفتح الطرقات وان تؤلف جميع القلوب ليكونوا يدًا واحدة في منفعة الوطن وردّ غارات العدوّ . فتعزّ شوكتها ولا تجسر دولة ان تطمع بها وتتعدى عليها او تريدها بشر وتغصبها مقاطعة او تبغي عليها

فالدين المسيحي لا يمنع الحكومات النصرانية من ان تكون فيها هذه الصفات المرغوبة ، بل يعينها جدًا على اكتسابها . هو الذي علّم الشعوب المساواة والاخاء والعدل والمحبة . هو الذي حرّر البشر بعد ان كان معظمهم قبل السيد المسيح ارقّاء وعبيدًا يباعون كالبهائم والسلع تائهين في مهامه الجهل . هو الذي رفع مقام المرأة واعتبرها رفيقة للرجل لا عبدة له . هو الذي منع تعدّد الزوجات والطلاق آفة العيل . هو الذي نشر العلوم ورقّى الفنون . فالحكومات الاوربية وان كان بعضها انفصل عن الدين تسير مع ذلك بمقتضى ما اكتسبته سابقاً من

الدين المسيحي لما له من التأثير البالغ في افكارها وشرائعها واعمالها . وليست شرائعها الّا شرائع يوستنيان الملك المسيحي مهذبة بالحق القانوني الكنسي

ومن ثم فلم يكن من خطر على «الدول النصرانية ان تكون اذلّ امم الارض» ولا ان يكون المسيحيون «طعمة لغيرهم» وان غصب عدوّ مقاطعة من بلادهم لا يرون واجباً عليهم «ان يعطوه مقاطعة اخرى جزاء عدوانه وبغيه» . ولا «ان يبقوا تحت نير غيرهم وحكم كل متسلط معتدٍ عليهم» ذليلين واحياء كاموات

ومعلوم ان ترقّي الافراد اذا عمّ وكثر في امّة يساعد على ترقّي الحكومات . والحكومات وان كان بعضها فصل الدين عن المدنية لم يقوَ على فصل معظم ابناء المملكة عن الدين فيُنسب رقيها الى ترقيهم . فبقدر ما يكثر في مملكة عدد الافاضل والعلماء والمخترعين ومن يُحسن الفلاحة والتجارة وارباب الصنائع والفنون الجميلة بقدر ذلك تترقى تلك المملكة . وقد سبق القول ان الدين المسيحي من اقوى العوامل على ترقّي الافراد

ألق بنظرك الى خمس قارات العالم ترَ جماعات المسيحيين وافرادهم ينفقون بيدٍ سخية مئات الالوف والملايين من الليرات على بناء الكنائس ودور العلم والمستشفيات والمآوي للفقراء والعجز والايتام ومختلّي العقول ليس فقط لبني امتهم لكن ايضاً للغرباء من مسيحيين ومسلمين ووثنيين وقد انشئت لهذه الغاية جمعيات رهبانية خصصت ذاتها لهذه الاعمال وما غايتها الّا نشر العلوم وافادة البشر وخدمة الانسانية والتقرّب من الله تعالى . اليس هذا الترقي المسيحي الحقيقي ؟ يؤيد قولنا ما نراه من التهتر والانحطاط في الآداب عند الشعوب التي يضعف فيها الدين المسيحي فيعودون همجاً وحوشاً فيندفعون الى ارتكاب افظع الآثام كما حدث في الثورة الفرنسية الكبرى اذ تعدّى جمهور منهم على الدين المسيحي وحاولوا محوه فاثاروا الحرب الاهلية وقتلوا كثيرين من رجال الدين والمتدينين ولم تهدأ الاضطرابات في البلاد ولم تجد الامّة الراحة الّا لما اعاد نابوليون بونابرت الدين الى المملكة وصالح الكنيسة . واليوم يحدث افظع من ذلك في

البلاد الروسية التاعسة حيث عمّ الخراب الديني والادبي والماديّ بسبب عداوة اولي الامر الشديدة للدين المسيحي . وهكذا القول عن المكسيك حيث قام نيرون ثانٍ شرّ من الاول. فأبدى الكهنة والرجال والنساء والاولاد حماسة في دينهم وبسالة في قبول الموت لاجل ايانهم يُقضى منها العجب .

أليس الدين المسيحي الذي حفظ من الخراب الامتين النشيطتين بولونية وايرلندة؟ فبولونية بعد ان بقيت زمناً مديداً تحت نير روسية وبروسية الخشن منحها الدين المسيحي حياة جديدة وفخراً وسطوة. والدين المسيحي ايضاً هو الذي حرّر ايرلندة بعد ان كانت خاضعة ذليلة لانكلترة

فقد ثبت اذاً ان تعليم الانجيل ليس فقط لا ينافي الترقي المدني بل هو مصدره ومورده ويساعد على حفظه وانتشاره . فالدول الاوربية هي مَدينة للترقي الباهر الذي نشاهده فيها

وان اعترضتَ وقلتَ ان اليابان تضاهي الامم الاوربية في الترقي المدني ، واليابان دولة وثنيّة لا مسيحية ، اجبتك ان هذا الترقّي لم ينشأ في اليابان الّا بعد الانقلاب الذي حدث في السنة ١٨٦٨ اذ اختلط اليابانيون بالممالك المسيحية واقتبسوا منهم ما يسمّونه « ميجي » اي عصر النور .. فادخلوا في بلادهم النظام الاوربي المسيحي في ما يتعلق بالادارة والمدنية والحربية والبحرية والمالية والنافعة والمعارف . فاليابان مَدين للدين المسيحيّ في ما اكتسبه من الترقّي المدني .

قل لي رعاك الله اذ كانت دولة الاتراك في ايام سطوتهم يجتازون من برّ الاناضول الى بلاد اليونان فالبلغار فالرومان فالصرب فهنغارية حتى النمسة ويشنّون الحروب على الامم المسيحية « ويبيعون الدماء بيع الماء للحصول على لذة التحكم والغلبة» كما كتبتَ أكان عملهم هذا من الترقي الممدوح ام من التعدّي المذموم. وقد مكثوا سائدين على معظم تلك البلاد وعلى مصر وسوريّة وبلاد بين النهرين وجزيرة العرب وغيرها من البلدان مئات السنين فايّ ترقٍ احدثوا فيها الّا ترقي الخراب. واذ بدأوا يتنعمون بالترفه في العيش وتأففوا من الزهد في

الخيرات الدنيوية اخذوا في الانحطاط والتقهقر وخسروا تباعاً كل ممتلكاتهم في اوربة ما عدا بقعة الاستانة لعدم اتفاق دول اوربة على من يمتلكها منهم . وخسروا مؤخراً كل البلاد الاسيوية ما عدا برّ الاناضول فعادوا الى حيث كان مركز دولتهم قبل ان تمتدّ

فحضرة الشيخ يبين لنا سبب هذا الانحطاط . قال (ص ٥٤ و ٥٥) :

« واقول ان المسلمين حادوا ايضاً عن الدين لان القرآن يأمرهم بالاقتصاد في الدين والدنيا وان يكونوا آخذين بالترقيين الدنيوي والاخروي فتركوا الدنيا ثم تبع ذلك تركهم للدين فاصبحوا مذبذبين واضاعوا الدين والدنيا معاً فخسروا بذلك خسراناً مبيناً حتى صدق عليهم قول نبيهم اخسر الناس صفقةً من اخلق يديه في آماله ولم تساعده الايام على امنيته فخرج من الدنيا بغير زاد وقدم على الله بغير حجة . غير ان الفرق بين المسلمين والنصارى من حيث ترك الجميع للدين كبير . فالنصارى تركوه لما هو ارق واسمى من حيث الترقي المدني والماشي واختلقوا لذلك عذراً يتذرون به وهو فصل الدين عن المدنية او السياسة . والمسلمون تركوه لما هو اذلّ واحطّ في الدنيا والآخرة . فلما ترك اولئك الدين وتعاليمه الناهية بأن يكونوا روحيين فقط لا يتعلقون بأهداب الدنيا نجحوا وارتقوا في سلم الحضارة الدنيوية الى غاية يقصر عنها الوصف . غير انهم اكثرهم سقط من جهة الاخلاق والدين في هوة سحيقة لانهم بتمسكهم بالدنيا تمسكاً كلياً اهملوا جانب الدين وما يأمر به من المكارم والاخلاق والرحمة »

هذا كلام الشيخ نقلناه بحرفه . والشيخ اعلم بدينه ونحن اعلم بديننا . ونعلم ان الترقي الدنيوي في الامم المسيحية ينتج عن الدين كما بيّنا ذلك ونبيّنه . ومتى انحطّ الدين في مملكة مسيحية انحط فيها الترقي الدنيوي

واعجب مما سبق تأويل الشيخ لآيات الانجيل (لوقا ١٤ : ٢٦ ومتى ١٠ : ٣٤) فقال (ص ٥٢) يقابل تعاليم الانجيل مع تعاليم القرآن :

« فان الثاني (اي الانجيل) يأمر المرء ان يُبغض اباه وامه واولاده واصحابه ليتبع المسيح عليه السلام حتى انه قال لا تظنوا اني جئتُ لألقي سلاماً على الارض ما جئت لالقي سلاماً بل سيفاً فاني جئتُ لافرّق الانسان ضدّ ابيه والابنة ضدّ امها والكنّة ضدّ حماتها واعداء الانسان اهل بيته »

ان حضرة الشيخ يجهل او يتجاهل . فكيف يمكن ان لا يوصي المسيح بمحبة الابوين والاهل والاولاد والزوجة وهو الذي صرّح بقوله « احبب الرب

الهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك . هذه هي الوصية العظمى والاولى والثانية التي تشبهها احبب قريبك كنفسك » (متى ٢٢: ٣٧ـ٣٩) وهو الذي اوصانا قائلاً : « احبوا اعداءكم واحسنوا الى من يبغضكم وصلّوا لاجل من يعنتكم ويضطهدكم » (متى ٥: ٤٤) ولا يخفى عليك ايها الشيخ ان الشريعة المسيحية هي شريعة المحبة : ولم يتعدّ قط المسيحيون على المسلمين بل كانوا هم كالحملان تقاد للذبح . ولكن اسمع ايها الشيخ تأويل كلام الانجيل الصحيح في آية الانجيل التالية التي ذكرتها في كتابك . قال السيد له المجد (متى ١٠: ٣٧) « من احبّ اباً او اماً اكثر مني فلن يستحقني . ومن احبّ ابناً او بنتاً اكثر مني فلن يستحقني . ومن لا يحمل صليبه ويتبعني فلن يستحقني » . فالمراد من كلام المسيح ان نفضّل محبة الله على محبة كل انسان حتى اعزّ اقربائنا كأبينا وامّنا . فاذا كان قد قال الله (تكوين ٢: ٢٤) : « لذلك يترك الرجل اباه وامّه ويلزم امرأته » فكم بالحري اذا كان ابي او امي او اخي او اختي او احد اقاربي يريد ان يبعدني عن ديني او عن عبادة الله يتحتم عليّ ان اتركهم وابغض عملهم هذا واتبع الله . فلو افترضنا ان ولداً مسيحياً عاشر المسلمين فلتزه دينهم فرآه لجهله صواباً واراد ان يدخل فيه فقامت اهله واخوته واقاربه واصحابه وحاولوا ان يردّوه عن قصده اذا كان يقول له الشيخ ان يقاوم اهله واخوته واقاربه واصحابه ليدخل في دين الاسلام ويعتبر ذلك غيرة منه . هذا هو البغض الذي يتكلم عنه السيد المسيح لا كما فهم الشيخ . هذه هي العداوة الممدوحة ان نعادي كل البشر حتى اهلنا واعزّ اصحابنا ولا نعادي الله تعالى وان نحبّ ابانا السماوي اكثر من كل ابٍ ولمّ واخٍ وزوجة على الارض . هذا هو السيف الذي يشير اليه السيد المسيح . فاذا قبل ابن او ابنة تعليم الانجيل ورفضه الاب او الامّ كان الانجيل كسيفٍ يفرّق الابن عن ابيه والابنة عن امّها لاختلاف المعتقد خاصة اذا كان ثمّ اضطهاد من الاب او الامّ للابن او للابنة بسبب الدين . اقرأ كل آيات الانجيل تفهم معنى كلام السيد للمسيح المتلئ حكمة وقداسة

فلو فهم الشيخ معنى الانجيل لما سطّر ما ورد في كتابه (ص ٥٣) :

«ولو قال قائل ان الانجيل يأمر بالمسالمة والرحمة فما بالك تصفه بانه يأمر بايقاع ذات البين والتفرقة بين المرء وزوجه والوالد وابويه والصديق واصحابه . الم يقل احبوا اعداءكم باركوا لاعنيكم الخ نقول ذلك حقّ ولكنه يهدم في موضع ما يبنيه في موضع آخر فلا يكاد يُثبت في نفس القارئ ما بناه حتى يزعزعه بكلام آخر فيتركه حيران لا يستقرّ على رأي ولا يأخذ بخلق . ألم يأمر اصحابه بالاتيان باعدائه وذبحهم تحت اقدامه وان يبغض الرجل اباه وامه . الخ»

فنقول للشيخ : كن مطمئناً من جهة المسيحيين لانهم يُدركون تعاليم الانجيل ومعناها وليسوا حيارى . فالسيد المسيح اعطى مثل رجل شريف ذهب الى بلد بعيد ليأخذ لنفسه ملكاً ويعود . وكان اهل مدينتهِ يبغضونه فانفذوا في إثره رسلاً قائلين لا نريد ان يملك علينا هذا . فلما اخذ الملك ورجع انزل القصاص باعدائه وقال « اما اعدائي هؤلاء الذين لم يريدوا ان املك عليهم فأتوا بهم الى ههنا واذبحوهم امامي » (لوقا ١٩ : ٢٧) فترى ان الكلام كلام الملك في المثل ويُراد بالمثل ان الله تعالى يوم الدين يعامل بقساوة من لم يقبل الايمان بالمسيح انه ابن الله كما يعامل ملوك الارض بقساوة من يعصاهم من سكان المملكة ويرفض الطاعة لهم . فحضرة الشيخ يورد الكلام كأنّ المسيح امر في حياته ان يُذبح اعداؤه امامه . ومعلوم ان السيد المسيح إله الوداعة والمسالمة والرحمة لم يأتِ لينشر دينه بالسيف بل بالاقناع وبكمال تعاليمه وسموّها وبالمعجزات العديدة التي صنعها وخاصةً بقيامته من الموت . وكان يعامل برأفة لا مزيد عليها الخطأة ما داموا في هذه الحياة ويدعوهم الى التوبة ويجتذبهم بحنوهِ

اما قول جناب الشيخ ان الانجيل او بالحري المسيح يهدم في موضع ما يبنيه في موضع آخر فهو في منتهى العجب ويبيّن صريحاً ان الشيخ لم يقرأ الانجيل بكامله او انه لم يفهم معناه . فالانجيل لا احد يجد فيه تناقضاً في تعليم الفضيلة وترويض النفس اذا تأدب بآدابه وقابل آياته بعضها ببعض وفهم المعنى الذي اراده الربّ . وها نحن نبين لك بالاختصار ايها الشيخ ما علمنا اياه السيد المسيح ولم تأتنا الّا بالنزر منه . وذلك املاً منّا بانك تفقه سموّ الدين

المسيحي وقداسته وتحترمه لانه يرفع من يتبعه الى اوج الكمال ويرقيه الى اعلى درجة من التمدن

قد اوصانا السيد المسيح كما يذكر الانجيل بالسير في الطريق التي توصلنا الى الحياة الخالدة في السماء وذلك بأن نحفظ وصايا الله ووصايا الكنيسة التي تنوب عنه. فامرنا بان نحبّ الله فوق كل شيء ونحبّ قريبنا كنفوسنا. والقريب هو كلّ انسان حتى العدوّ. وحرّضنا على اعمال التوبة ومقاومة ما يهيج فينا من الاهواء الفاسدة كالغضب والحسد والاميال الدنسة الزنائية. فقد قال «من نظر الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنا بها في قلبه» (متى ٥ : ٢٨) يحرّم الدين المسيحي كل فكر وعاطفة ونظر وقول يضادّ العفّة. فالدين يخرق العقل والقلب والمخيّلة والحواس ليحفظ الانسان بكامله طاهرًا. ويوصينا السيّد المسيح بالصلاة والاماتة لكي ننال العون من العُلا وننتصر على تملّق الجسد بالشهوة وتجارب ابليس فقد قال «ان لم تتوبوا تهلكوا جميعكم» (لوقا ١٣ : ٥) «صلّوا لئلا تدخلوا في تجربة» (متى ٢٦ : ٤١). وينادي الربّ بالطوبى للمساكين بالروح والودعاء والحزان والجياع والعطاش الى البرّ والرحماء والانقياء القلوب ولفاعلي السلامة وللمضطهَدين من اجل البرّ. ويحرّم علينا الحلف ضدّ الحقّ او بغير ضرورة او بدون وقار لئلا نهين اسم الله القدوس. ويوصينا بان نغفر من كل قلبنا لمن اساء الينا. ويامرنا في ما يخصّ الافعال الصالحة كالصلاة والصوم والصدقة أن لا نصنعها لكي ينظرنا الناس ويمجّدونا بل لوجه الله ومرضاته. فقد قال «واذا صليتم فلا تكونوا كالمرائين فانهم يحبون القيام في المجامع وفي زوايا الشوارع يصلّون ليظهروا للناس» (متى ٦ : ٥) ويُلزمنا بالطاعة لرؤسائنا ان روحيين وان مدنيين بشرط ان لا يأمرنا هؤلاء بما يضادّ شريعة الله فيلزمنا اذ ذاك ان نضحي بحياتنا حفظاً للشريعة فقد قال «لا تخافوا ممن يقتل الجسد ولا يستطيع ان يقتل النفس بل خافوا ممّن يقدر ان يُهلك النفس والجسد في جهنم» (متى ١٠ : ٢٨) ونلتزم ايضاً بأن لا ننكر ديننا لا من خوف ولا من حياء بشري لئلا ينكرنا الربّ في يوم الدين «من ينكرني قدام الناس انكره انا قدام ابي الذي في السماوات» (متى ١٠ : ٣٣) وقد اعاد الزواج الى قداسته

الاولى بمنعه الطلاق على الاطلاق . الى غير ذلك من المواعظ التي تنير العقول وتخشع القلوب وتبعد الانسان عن اباطيل الدنيا الغرور

وقد شاء حبًا لنا وليشجعنا بمثله ان يسير قدامنا في الطريق التي اوضحها لنا طريق الزهد والتواضع والاماتة . فدبّر بحكمته الازلية ان يكون ميلاده البشري في مذود وبفاقة لا مزيد عليها . ولم يمنع وهو الاله القدير ان يُضطهد وهو طفل . ولم ينجُ من القتل الّا بالتغرّب والهرب الى مصر ليلًا كالضعيف الذي لا قدرة له ولا مُعين . ولما ترعرع وشبّ صرف معظم حياته في شغل النجارة ليكون قدوة للعملة في اتعابهم . واذ شرع بنشر الدعوة لم يقابله عظام القوم الا بالحسد والبغض والعداوة والاضطهاد رغمًا عما اظهر من المحبة والرأفة والصبر والاناة نحو الجميع ورغمًا عمّا صنع من المعجزات في شفاء كل من كان به مرض وفي اقامة الموتى . وقد قبل الموت ليكون كفّارة عن خطايا البشر ويستمدّ لهم المغفرة من الآب السماوي . فخضع لجميع الآلام . خانه احد تلاميذه وخذله الباقون وقبض عليه اعداؤه اذ كان يصلّي في بستان الزيتون وحكموا عليه بالموت لانه صرّح بانه المسيح ابن الله . فذاق من العذابات امرّها ومن الهوان افظعه . جُلد على العمود وكُلّل بالشوك وهُزِئ به وعُلّق على خشبة بين لصّين كانا اكبرهما جرمًا . وكان وهو غائص على الصليب في بحر من الاوجاع والاحزان والاهانات يصلي لاجل اعدائه وقاتليه حتى اسلم الروح

هذا هو الدين المسيحي وهذه هي حياة منشئه على الارض قد انقضت من المهد الى اللحد في الفقر والتواضع والاماتة والوداعة والصبر والمحبة والمغفرة وعمل الخير . ولم يكد المسيح يموت حتى انتصر وقام من القبر ممجدًا . ولم يلبث العالم ان تنصّر مع ان ملوك رومة الوثنيين اثاروا الاضطهاد العنيف على الدين المسيحي مدة ثلاثمائة سنة فقتلوا من المسيحيين مئات الالوف في كل جهات المملكة البعيدة الاطراف من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب فجرت دماؤهم كالانهر . لكنّ الدين المسيحي انتصر على الوثنية واليهودية كما انتصر في ما بعد على كل اضطهاد وكما ينتصر اليوم على روح الكفر المنتشر في العالم . فان الكنيسة الكاثوليكية تتجلى ببهاء يفوق ما عودتنا اياه في ما مضى من

حياتها وذلك بتقوى معظم ابنائها وطاعتهم واحترامهم ومحبتهم لها فانهم مع رعاتهم متحدون معراس الكنيسة المقام من السيد المسيح اتحاداً يُقضى منه العجب. وسلطة الكنيسة هي الوحيدة التي تثبت قويّة في العالم محترَمة ومعزَّزة بينما نرى كل سلطة سواها متزعزعة ضعيفة. ان كنيسة المسيح هي كسفينة تجري في بحر هذا العالم بين الرياح العاصفة والامواج المزبدة. فلا تخشى الغرق لان المسيح معها يؤيدها بقدرتهِ. فنشاهدها ناشرة شراع شرائعها تستعين بالرياح المعاكسة لها تكسّر الامواج المندفعة عليها وتسرع بمن فيها الى الامام الى ميناء الخلاص

افيمكن للشيخ بعد هذا ان يدّعي بان الدين المسيحي لم يُحدث ترقياً في العالم. لا لعمري لا يمكنهُ. لانه اذا كان بقي في العالم ترقٍ مدني فالفضل في بقائهِ لا يُعزى الا للديانة المسيحية. انّ الشيخ يسلّم بكمال الدين المسيحي لكنه يقول (ص ٥٤) « ان المسيحيين جميعاً حادوا عن دينهم. وذلك لان الانجيل يأمرهم بترك الدنيا بتاتاً وترك الحروب وادارة الخدّ الايسر لمن ضربهم على الايمن الى غير ذلك. وهم تركوا كل ذلك وتمسكوا بضدّ مبادئهِ وتعاليمه وآدابه »

اننا ننكر ما يدّعيه الشيخ من ان المسيحيين جميعاً حادوا عن دينهم. فالكاثوليك يبلغون اليوم ثلاثمائة وخمسين مليوناً والبروتستانت والاورثذكس مائتي مليون. فلو كانوا جميعهم حادوا عن دينهم افيمكن ان يكون وجود للديانة المسيحية في العالم. وهي مزدهرة ازدهاراً عجيباً

اما قوله ان الانجيل « يأمرنا بترك الدنيا بتاتاً وعدم الالتفات اليها بوجه من الوجوه الا ما يسدّ الرمق وادارة الخدّ الخ » فقد برهنّا فساد تأويل الشيخ هذا. وفي ما قلناه كفاية

وقفة باطلال بابل

بقلم حضرة الاب ا . س . مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

١

تمهيد

في لساننا العامي ، او في لغتنا العراقية ، لفظة « نَكّاب » وجمعها « نكّابة » لا نكاد نتلفظ بها ، الّا وقد تمثّل في مخيلتنا ، رجل أمي ، فقير الحال ، ذو مهنة حقيرة — هي حفر الارض ، ونقل التراب او فضلات مواد البناء — يزاولها لكسب قوته ، وقوت عياله ، بشق النفس ، وعرق الجبين . اما اذا عدلنا عن اللفظ الدارج ، ونطقنا بالكلمة طبقاً اللغة الفصحى ، باخراجنا الحرف الثاني قافاً ، لا كافاً ، كالعراقيين ، ولا آفاً ، كالسوريين او الفلسطينيين ، انتقلنا من عالم الانحطاط ، الى عالم الارتفاع ؛ ومن جمهور العامة ، الى طبقة الخاصة ؛ ومثل امام بصيرتنا أمرؤ له المقام الكريم في الالفة العصرية المتمدنة ؛ امرؤ له الفضل العميم على ابناء جنسه ، بما يكشفه لهم من الكنوز المدفونة في جوف الارض ؛ تلك الكنوز التي تزري ، بثمنها المعنوي ، باجزل الاموال المادية . فما هو ، يا ترى ، سر هذا الفرق والتباين بين « النكّاب » و« النقّاب » ؟ سرّه كلمة اخرى ، قد كانت ولا تزال مدعاة للتقدم والتمدن والكمال ؛ ومبعثة للمفاخرة والمنافسة والمباهاة ؛ كلمة يتكهرب ، لمجرد ذكرها ، ارباب العقول الثاقبة ، والمدارك العالية ، والالباب الصافية ، الا وهي تلك الكلمة السامية ، تلك الكلمة المقدسة « العلم » العلم ، اجل ، هو العلم انشأ الفرق بين « النكّاب ، والنقّاب » اذ بعدم العلم ، وجد النكّاب ومهنته الخسيسة ، وان كانت ، من غير باب ، نافعة ، لازمة ، بين طبقات البشر ؛ وبوجود العلم ، رُفع النقّاب ، اي مكتشف الآثار القديمة ، الى مقامه

هذا الشريف ، ومن هنا تظهر خطورة فن التنقيب ، اذ هو الواسطة لتوسيع علم الاثريات ، وبهذا العلم عينه ، يترقى علم التاريخ وغيره من العلوم . ولذا فاستنادا الى مبادئ ونتائج هذين العلمين الجليلين : علمي العريقيات ، والتاريخيات ، المتوسمين بفن ارباب الحفر المصري ، قد انشأتُ هذا المقال المعنون « وقفة باطلال بابل » والغاية منه ان اصف ، وصفاً موجزاً ، ما قد بقي هناك ، من الآثار التي ذهبتُ ، في شهر تشرين الاول الفائت ، فوقفت بينها وقفة الباحث (١ ؛ ثم اشفع الوصف بلمحة القيها على تأريخ هذه المدينة الشهيرة ، على كرور الازمان ، وتقلب الدول . وهو ، وايم الحق ، موضوع اطرقه بلذة وسرور ، وافتخار واعتزاز ، لان بلاد بابل هي العراق وطني العزيز ، « ومن احب وطنه وافتخر به ، ما ظلم »

ذكرى اسمها

بابل ! ومن يا ترى يجهل اسم بابل ؟ بابل اسم عرفناه ، منذ نعومة اظفارنا ، ونحن على مقاعد المكاتب ، نتلقى مبادئ التاريخ القديم ، بابل هي البقعة التي نزل اليها ابناء نوح عند خروجهم من السفينة ، بعد الطوفان . بابل هي سنعار التي قال فيها ابناء البشر : « تعالوا نصنع لبناً وننضجه طبخاً . » فكان لهم اللبن بدل الحجارة ، والحُمَر بدل الطين . ثم قالوا : « تعالوا نبنِ مدينةً وبرجاً ، رأسه الى السماء ، ونقم لنا اسماً ، لكي لا نتبدد على وجه الارض . »

بابل هي التي فيها قال الباري : « هلمَّ نهبط ، ونبلبل هناك لغتهم ، حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض . » . ولذلك سُمّيت بابل ، لان الرب هناك بلبل لغة الارض كلها . بابل هي البلاد التي نشأت فيها اول مملكة في الدنيا ، على يد نمرود الجبار . من يذكر اسم بابل ، ولا يخطر بباله جلاء اليهود الى

---

١) يطيب لي ان اسدي في هذه الفرصة ، خالص شكراني الى ابناء وطني الاماجد ، الشبان النجباء : احمد حامد آل الصراف ، وفخري بك الطبقجه لي واخاه ، لما ابدوه نحوي من اللطف والحفاوة ، واذوه لي من الخدم الجليلة ، يوم نزلت الحلة ، قصد الوقوف على اطلال بابل .

تلك الديار ، حيث بقوا السنين الطويلة ، متشوقين الى اورشليم ، مرددين بكآبة قائلين : « على انهار بابل هناك جلسنا نبكي ، عند ما تذكرنا صهيون ، على الصفصاف ، في وسطها ، علقنا كنانيرنا . » ? من يتلفظ باسم بابل ولا يتصور منسا سجيناً ، وحزقيال اسيراً ? من يورد اسم بابل ، ولا يتبادر الى ذهنه قصة سوسنة العفيفة ، واستير الملكة الجليلة ، ودانيال النبي الكريم ، ملقى في جب الاسود ، وهي رابضة عند اقدامه ؛ والشبان الثلاثة في اتون النار سالمين مرنمين ? بابل ام المدائن ، وسيدة البلاد ؛ مركز الحضارة والعمران ؛ مصدر العلوم والفنون . بابل منجبة الرجال العظام ، كثمركينا القديم ، ونادمين ، وسمو بليت ، ونبوكدنصر الاول والثاني ، ولاسيما حمورابي ، معلي شأنها ، ورافع لوائها . بابل المدينة التي طبقت شهرتها الخافقين ، وقد عرفتها امم الارض طراً ؛ فوصفها لنا المؤرخون القدماء ؛ منهم اربعة يونانيون وهم : هيرودوت ، واكتازياس ، وديودورس ، وابيدين . واثنان ساميان وهما : بيروس او برهوشا البابلي ، وابو حسن ثابت الحراني . وقد جاء ذكرها في تأريخ يوسيفوس اليهودي ، واوسابيوس القيصري ، واقليميس الاسكندري ، وغيرهم ممن جاءوا بعدهم . الّا ان كلامهم لم يأتِ وافياً بالمرام

وصف موقعها واطلالها

وبقيت الحال ، على هذا المنوال ، حتى القرن الغابر ، حيث هبّ علماء اوربة ، فشدوا الرحال ، الى هذه الديار ، ليطلعوا عن كثب على ما حوته من قديم الاثار ، غير مكترثين لما يتجشمونه من جسيم المشقات ، وما يصرفونه من طائل النفقات ، فاضحوا نقّابين ، وقلبوا التلال ظهراً لبطن ، ليعرفوا ما كنه داخلها من جليل اللقى الاثرية . وكان مقدّم النقّابين وشيخهم ، في بلادنا العراقية ، المسيو بطّة ، قنصل فرنسة في الموصل . وقد اجرى اول اعماله الحفرية الفنية ، تجاه الحدباء ، قرب قرية النبي يونس ، في تل قوينجق ، اي في موقع نينوى القديمة عاصمة المملكة الاشورية ، ثم انتقل الى ضرصباط اي موقع

دورشرّوكين ، وذلك سنة ١٨٤٢. ثم تبعه في العمل فلاندا سنة ١٨٤٤ وبلاس ، ولايَرد سنة ١٨٤٥. وشارك لايَرد في تنقيباته هرمزد رسام الموصلي . واما التنقيبات الاولى التي جرت في الربوع البابلية ، فكانت على يد لايَرد ، ولوفتوس ، وفرنل ، واوبير ، ورولنسون . وجميعهم من اصحاب الاثريات المتضلعين في علمهم وفنهم . وجرت اعمالهم بين ١٨٤٩ و ١٨٥٢

على ان البلاد التي ندعوها اليوم العراق تشمل ثلاث ولايات ، من لولايات التركية القديمة . اي ولاية الموصل شمالاً ، واقصى حدودها نواحي مدينة زاخو ؛ وولاية بغداد ، العاصمة ، وهي في الوسط ؛ وولاية البصرة ، جنوباً ، الى خليج فارس . وقد سميت في القديم ما بين النهرين ، اي دجلة والفرات ، لانها مكتنفة بهذين الرافدين ؛ ودعيت في سفر الخلق بارض سنعار ؛ والعرب اطلقت عليها اسم الجزيرة ؛ واما اليونان فهي معروفة عندهم باسم ميزُوبوتاميا . ولكن في عهد اهلها القدماء ، كان لكل قسم منها اسم خاص . فالشمال كان يدعى اشور اي آثور ، وحدود هذه المنطقة ، في الجنوب ، نواحي بغداد ، اي على طول الخط الممتد من فلوجة ، الى دلّي عباس . واما بين بغداد والخليج الفارسي ، فكانت البقعة ، في اقدم عصور التأريخ ، منقسمة الى منطقتين ، المنطقة الشمالية وتعرف بالربوع الأكّديّة ؛ والمنطقة الجنوبية ، وتسمى الديار الشمرية . وقد شمل يوماً هذه الاصقاع اسم البلاد البابلية او الكلدانية . ومن مدن المنطقة الجنوبية الشمرية مدينة « اورو » وتعرف اليوم بالمقيَّر او المكيَّر ، على اللفظ العراقي ، وهي التي سمتها التوراة « اور الكلدانيين » موطن ابراهيم الخليل ، ومن هناك دعاه الربّ ليذهب الى بلاد كنعان ، عابرًا بحرّان . ومنها مدينة « اريدو » المدعوة اليوم ابو شهرين ، وكانت مرفأً على البحر ، مع انها الان في القفر . وذلك لان الخليج ، في تلك الازمان ، كان يصل الى مسافة نحو ٢٠٠ كيلومتر عن ساحله الحالي ؛ ولم يكن لشطّ العرب من وجود ، لان الفرات ودجلة كان لكلّ منها مصب منفرد ، ولم يتصلا ويكوّنا شطّ العرب الا على كرور الادهار ، بقدر ما كان يبتعد ساحل الخليج بفعل تراكم الرمال المندفعة منه بقوة المدّ . ومن الحواضر

الشمالية الاكدية ، نيبور ، وبارسبا ، وكوتا ، وسيبارا ، ودوركوريكلزو ، وبغداذا ، وكيش ، ولاسيما أكد التي لاهميتها في ذاك الزمان سميت باسمها المنطقة كلها ، الا ان الاكثر خطورة وشهرة هي ، دون مراء ، مدينة بابل التي نحن في صددها

مما لا شبهة فيه تاريخياً ، ومما قد ثبت راسخاً في تقاليد سكان البلاد الموروثة منذ القدم،هو ان موقع بابل القديمة في نواحي المدينة التي بناها العرب، في صدر الاسلام ، الا وهي مدينة الحلة التي هي اليوم مركز لواء من الوية مملكتنا العراقية ، وتبعد عن بغداد نحو ٩٠ كيلومتراً الى الجنوب الغربي . اما بابل فكانت ممتدة على ضفتي الفرات ، وكان القسم المهم منها على الضفة الشرقية

وقد ذكر هيرودوت ان محيطها كان يقدر بنحو ٤٨٠ غلوة ، او زهاء ٩٠ كيلومتراً ؛ وكان علو اسوارها ما يقرب من ٢٠٠ قدم ، وثخنها ٥٠ قدماً . ويذكر المؤرخون انه يوم دخلها الاسكندر المقدوني ، ونجم مجدها وعزها قد افل ، كان محيط الأهول منها نحو ٩٠ غلوة اي زهاء ١٥ كيلومتراً ، وهو محيطها الحالي ، وقد هدم النهر القسم الصغير منها ، وهو الواقع على الضفة اليمنى ، فلم يبق سوى بضع قطع من سوره

وضمن محيط المدينة ، ترى اليوم قائمة ثلاثة تلول : الواحد في الوسط ، الواقع في شرقي ضيعة ، جالسة على النهر ، تدعى « كُوَيرش » وهو تصغير اسم كورش ملك الفرس الذي استولى على المدينة . وهذا التل يعلو عن الفرات ١٤ او ١٥ متراً . واهم موقع منه يدعى « القصر » ، لان في جهته الجنوبية كان مبنياً قصر نبوكدنصّر . وقد كشف المنقبون اساسه ، واظهروا عدة قاعات ، منها ردهة العرش الخارقة الاتساع . ومن جهة التل الشمالية ، قد كشفوا سطحاً ، وقعوا في أُسه ، على قواعد عواميد من الآجر ، وهي كلها راجعة الى قصر آخر للملك نبوكدنصّر . ومن الناحية الشرقية لهذه الخرائب ، قد وجدوا طريقاً ، مزينة بالنقوش الناتئة ، المصنوعة من الآجر الملون ، المصقول ، الشبيه بما ندعوهُ اليوم « كاشي » في عراقنا . وفيه صور اسود ، وثيران ، وتنانين ، وهناك ايضاً باب جميل ، فاخر ، يدعى « باب إشتر الالاهة»

و« هيكل ننماخ » وهذه الطريق هي طريق « الطواف الحافل » الذي كان يجري لاكرام الاله مردوخ . ومن جملة اللقى التي وجدت في خرائب بابل ، على تلّ القصر ، تمثال كبير ضخم ، يمثل اسداً ، وهو من حجر البركان ، غير كامل الصنع . والظاهر انه من زمن « باب إشتر ، وطريق الطواف » اي من القرن السادس ق.م . الّا انه يمكن ان يرقى بهِ الى القرن الثالث عشر ، لان صنعه من الطرز الحثي المعروف . وقد كشفت التنقيبات الحديثة اشياء كثيرة من طرزه ، كما يرى ذلك في زنجرلي ، قرب عينتاب ، في تركية ؛ وفي كركميش ، قرب جرابلس ، من نواحي حلب . وهذا الاسد راكب على رجل يريد خنقه وسحقه . ومن التآويل التي أبديت في شأنه ، انه يمثل ملك بابل ، الاسد الهاجم على اعدائه ؛ وان الرجل الساقط تحته يشخص الملوك المقاومين ، الذين حاربهم ، فانتصر عليهم

الى جنوب القصر ، تلّ آخر ، يدعى « تلّ عمران بن علي » يوجد فيه آثار اهم هيكل للبابليين ، وهو هيكل « إيساكيلا » الذي كان داخله الهرم ، او البرج ذو الطبقات ، او « المقتول » في عرف العراقيين اليوم . ومحلّه الحفرة المتسعة التي مساحتها نحو ١٠٠ متر مربع ، المدعوة في ايامنا « الصحن » ، وهي في وسط الجامع ، تحت القبة . وعلى مسافة نحو كيلومترين الى شمالي القصر يرى تلّ منفرد يدعى بابل ويحتمل ان يكون موقع قصر آخرَ من قصور نبوكدنصّر ، ومكان ما دعي بالبساتين المعلّقة الشهيرة للملكة شميرام . والى شرقي القصر موقع يدعى « الحميرة » تشاهد منه اثار السور القديم .

« برز نمرود » على بعد ١٢ كيلومتراً ، الى جنوب غربي الحلة ، واقع تل عظيم ، فيه خرائب تظهر كان لا شكل لها ولا نظام ، قوامها من آجر قد تغير لونه ، فصار من قبيل الفخار او الزجاج . وهذا التل ، القائم وحده في وسط تلك السهول ، هو ما يدعى اليوم : « برز نمرود » اعني البناء البارز ، المعزوّ الى نمرود . وما هو بالحقيقة سوى بقايا مدينة « بُرسِبا » وقد بقي هناك ، بفعل التواتر ، ذكر « برج بابل الشهير » . وهذا البرج يرى عن بعد ، من وراء الفرات ، في منتصف الطريق المؤدّية من بغداد الى الحلة . واذا خرج السائح من هذه المدينة ، برز

حالًا امامه البرز كجبل ، يتخيله قريباً ، وهو لا يزال يبتعد ؛ مما يذهل المسافرين ، فيوقعهم في حيرة . علو البرز الآن ٤٦ مترًا ، ودائرته من اسفل نحو ٧٠٠ متر ، وجهته الجنوبية الغربية وعرة المسلك . ويرقى اليه من الطرف الشرقي ، بوادٍ متحدّر . وبناؤه من هذه الجهة ، باللَّبِن المشوي ، ومن نظر اليه يتذكر قول ابناء البشر : « تعالوا نصنع لَبِناً وننضجه طبخاً » فكان لهم اللَّبِن بدل الحجارة ، والحُمَر كان لهم بدل الطين . ومن كان له علم بالاشوريات ، وعرف مقابل هذا الكلام ، في النص العبري وهو : « نِلْبني لِبَنِيم » لا يتمالك من ان يتذكر هذه العبارة الاشورية « Usalbina libiltu » ومؤداها : « جعلت ان يُصنع لِبنا . » والعبارة للملك سرجون ، فان هذا ابن البلاد العراقية ، تراه يستعمل ، بعد قرون عديدة ، عين العبارة التي استعملها سلفاؤه ، في شأن هذا العمل ، والسبب في ذلك ان ارض بابل مكوَّنة من الرواسب الحاصلة من فيضان الرافدين . ولا وجود للحجارة فيها ، فمن ثم كانت حالة البناء فيها واحدةً ، من الاعصر القديمة ، حتى ايامنا هذه ؛ اذ ان اهل العراق يشيّدون الدور ، اما باللَّبِن المجفَّف بحرارة الشمس ، او بالآجر ، اي اللَّبِن المشوي بالنار . وهم محافظون على عادة من سبقهم في تلك الديار ، من ابناء البشر الاولين ، ومن عقبهم فيها من الفاتحين العظام ، الذين اسسوا هناك اكبر وافخر مدنية في العالم القديم ، ولكنهم لم يستطيعوا ان يستعملوا مادة لبنائهم ، سوى الصلصال

هذا واذا رقينا بذاك المنحدر ، نصل الى مستوى واسع ، ومنه نبلغ الى قمة الربوة . ومنها نشرف على سهول بابل ؛ فنرى الحلة ، وبابل ، وتل عمران ابن علي ، وكويرش ، والقصر ، وبقعة المستنقعات . في اعلى الربوة قائمة ، حتى اليوم ، قطعة حائط جسيمة ، علوها نحو ١٢ مترًا ، ما هي الا بقية من برج نبوكدنصر ، حسبما حقَّق ذلك اهل الاثريات الذين نقَّبوا في تلك المواطن ، من مثل فرنل واوپير ورولنسيون . وقد اعتمدت عليهم في هذا الشأن ، ومن رأيهم ان لون آجر الحائط ، وما حوله ، وتحجّره ، لا ريب انه قد نجم عن حريق هائل ، شبت نيرانه ، في هذا البناء الفخم ، فبدّلت حاله ، ولون آجره (للبحث صلة)

الجُدَريّ

أشيع الأوبئة ؛ أقتلها ؛ أسهلها اتقاء

• لذلك رغب «المشرق» الى حضرة الحكيم ابن الجميّل
في نشر هذا المقال ، إبّان فائدته الحاليّة

كان الجدري ، قبل ان عُرف التطعيم اي الى قرنٍ سبق ، إذا غشا بلدًا او دخل أسرة ، فتكَ بربع اهلها ، ما عدا من يشوّهه او يعميه كأبي العلاء المعرّي

عرفنا عيلةً ممّن يستسلمون للقضاء والقدَر وصل اليها الجدري فما مضت اسابيع قليلة حتى ذهب بثلاثة ارباعها : ومن ١٢ نسمة لم يبقَ الا ثلاث . ان هذه الآفة قضَت على سلالة لويس الرابع عشر ملك فرنسة العظيم ؛ ولم يسلم الّا ولد حفيدهِ اي خلَفه لويس الخامس عشر ، الذي مات بالجدري في شيخوختهِ ، على إصابتهِ به صغيرًا

الجدري داء أهمُّ تظاهراتهِ حُمَّى شديدة يصحبها ألمٌ في الرأس وخاصةً في الظَّهر ، فطَفحٌ يبرز بين اليوم الثاني الى الرابع ، بين الشدّة والخفّة ، لا يلبث ان يتحوّل الى بُزور فبثور فقشور فيها جراثيم العدوى ، بل هي العامِل على نشرها

منذ القِدَم يفتك الجدري بالانسانيّة . وامامي نصٌّ خطيرٌ استوقف كثيرًا نظري في اثناء درسي في الحقبة الاخيرة : «الطبّ في الكتاب المقدّس» : جاء في سفر الخروج ، الفصل التاسع ، العدد العاشر : « فأخذ موسى وهارون من رَماد الأتون ، ووقفا بين يَدَي فرعون ؛ وذرّاهُ موسى الى السماء ؛ فصار قروحًا وبُثورًا مُتنفِخةً في الناس والبهائم »

لا جرم انه كلامٌ ينطبق الانطباق كلّهُ على هذا الداء وعلى أخيه في البهائم المسمّى : جدري المواشي (La clavelée)

وللرازي ، حكيمنا العظيم ، السبَق ايضًا في معرفة الجدري وتعريفهِ (انظر رسالته التي نشرها المرحوم كرنيليوس ڤانديك)

***

في ان الجدري اسهل الاوبئة اتقاء واوكدها عصمة لمن يطعم

كان هذا الداء، الى القرن الماضي، أذيع من الطاعون ولم يكن أقلّ منه ولا من الكوليرا (١ فتكاً)، إذ ان نسبة الوفيات فيه تراوح بين ٥٠ و٧٥ في الـ ١٠٠ وله بزيادة التشويه والعمى كما قدمنا

لذلك كان كشف واسطةٍ اكيدةٍ بسيطةٍ تقي من هذا الداء، (الـذي لم يزل الى الساعة بدون دواء) من أفيد مـا كشف الانسان

من عدة قرون توفق الشرق الى الناعة على هذه الوافدة بما سُمّي بصوابٍ «الطعوم البلدي» وهو الى الآن معروف في الشام، معمولٌ بهِ ببعض انحاء لبنان

كثيراً ما كان بعض أهل بلادنا يأخذون شيئاً من صديد مُصابٍ بالجدري إصابةً خفيفةً ويخدشون بعض خدوش طفيفة على اليد او في اي قسمٍ آخر من جسم رجلٍ سليمٍ يُراد تطعيمه، فتظهر على المطعَّم اعراضُ جدري خفيفٍ تصونه في المستقبل صيانةً مطلقةً من هذهِ البليّة لمدة لا تنقص عن ١٥ سنة

غير ان لهذه الوسيلة عيبين كبيرين ثقل هائلين: احدهما ان المُلقَّح قد يصاب بجدري شديدٍ (بكر) يؤول الى الموت ؛ والآخر انهُ يُصبح أداة عدوى تُذيع المرض في محيطه

ومع ذلك ــ ولما كان المرء بين شرّين يختار اصغرهما ــ اشتهرت هـذه الطريقة وامتدَّت الى استانة؛ وهناك تعلَّمتها قرينة سفير انكلترة السيدة مونتاغ عام ١٧٢١ وأجرتها على ولدها ونقلتها الى انكلترة ؛ فـامتدّت الى سائر اوربة واميركة، التي لم تعرف هذا الداء الا بعد عهد خريستوف كولمبوس

وقد تمَّ التوفيق للانسانيـة على يد الحكيم جنّر (Jenner) الخالد الفضل والاسم فعُدَّ من اكبر المحسنين اليها، لان طريقته لا محذور لهـا ولا عدوى منها ولا خطر ولا عطب. وهاك بيانها :

كان جنّر طبيباً في بلدتهِ بركلـه (Berkley) (من بريطانية العظمى) ؛ وسمع هنـاك على لسان بعض العامّة ان المُعتنين بالأبقار لا يصـابون بالجدري

١) ولم يُعرف الهواء الاصفر في بلادنا قبل مئة سنة

بتةً . وبالتقصي أدرك ان البقر قد تُصاب على أثدائها ببثور تشبه حُبيبات الجدري . فاذا عَلِقَ شيء من صديد البثور باصابع بقّارٍ ، حين الحلب مثلاً ، وظهرت بثورٌ على الاصبع ، فتلك البثور تقي ، فيما بعد من الجدري الانسانيّ ، ذاك الذي أُصيب بها . ثم أخذ نابغتنا بالاختبار ، ورأى بالامكان نقل البثور بالتلقيح من البهائم الى الانسان ، ومن الانسان الى الانسان على شكل ما كان يصنع للتطعيم الذي سمّيناهُ البلدي اي التجدير (variolisation)

وفي اليوم التاريخيّ الخالد ، وهو ١٤ ايار عام ١٧٩٦ أخذ ، جنر شيئاً من بثور كانت على يد خادمة تحاب البقر اسمها سارة نِلمس (Sarah Nelmes) ولقّح بها ذراع فتى بعمر ثماني سنين يُدعى جمس فيپس (James Phips) . ثم بعد ايام لقّحهُ بعدّة (قيح) الجدري الحقيقي فلم يُصَب الغلام . وبعد تكرار هذا الامتحان على الصغار ثبتت فائدة الاكتشاف فملأ الدنيا انتشارًا فوقايةً ١)

* * *

كيف يجرى التطعيم ؟

يجب تطعيم كل رضيع . متى بلغ الشهرَين الى الثلاثة ، وإعادة التطعيم كل خمس سنين للصغار وكل سبع سنين للكبار ، فتكون الضمانة مطلقة اكيدة

ولن ترى أصلاً مَن سار على هذه الطريقة يُصاب بالجدري ولو كانت مهنته أبدًا الطِبابة او خدمة المجدورين ، ولو لم يحتَط بسوى هذه الواسطة . وقد علمتَ ان التلقيح بصديد الجدري عَينه لا يأخذ في الطعّمين ولا يؤثّر فيهم ابدًا ولذلك ينبغي للحكومات والإدارات ان تجعله إجباريًا

متى أُريد التطعيم يؤخذ انبوبٌ من مادّة الصديد الخاصّة المُستنبَتة على البقر في دُور علميّة أُقيمت لذلك . ويُفرَغ الانبوب على صفيحةٍ صغيرة طُهِّرت بالإغلاء او بالاحراق بالكحول ، ثم بردَتْ كي لا تُميت الحرارة اللقاح ، وهو مادّة حيّة جرثوميّة

تُبضَع الذراع اليسرى او الفخذ بَضعاً خفيفاً سطحياً بحيث يظهر الدم ولا

---

١) (عن كتاب « قانون الصحة » صفحة ٢٦)

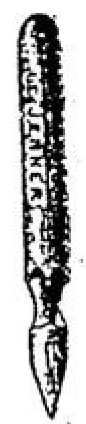
يسيل . ونحن نعمل ثلاثة خطوط متوازية بطول نحو سنتمتر ويُفصَل بين الخط والآخر بقَدْر سنتمترين (انظر الرسم) ، عن نشرتنا « في غياب الطبيب »

لا بدّ من تطهير ريشة التطعيم المعدنيّة بالإغلاء ، او بلهب الكحول

يُستحبُّ غسلُ الذراع قبل ذلك او مَسحهُ بالكحول . وبعد ان تستطير الكحول يوضَع في كل جرح مقدار قمحة صغيرة من مادّة اللقاح

لا بدّ من ١٠ دقائق انتظار قبل تنزيل الملابس اي الى ان يجفّ اللقاح ويلتصق بالسحوج





لتتأكّد لك جودةُ المطعوم وجدّتهُ انظر الى الوضع ، اي من لُقّحوا لاول مرّة فانك ، بعد اسبوع مثلًا ، ترى بثور اللقاح جليّة على الخدوش مع سائر الأعراض الموضعيّة كالاحمرار والورَم ، والتظاهرات العامّة كبعض الحرارة . اما الذين يجدّدون التطعيم فقد لا يأخذ او إنه يأخذ قليلًا . فذلك دليل على ان القديم لم يزل واقياً نافعاً

قد أسهبنا في هذا الموضوع لشأنه الكبير في وقاية الوطن من الجدري . ونحن نودّ ان يكون هذا البيان دافعاً لجميع الاطباء والدايات والمعلّمين بل الائمّة والكهنة ، حتى في آخر مزرعة ، لتعميم هذهِ الخدمة الانسانية السامية في كل مكان

وبشِّرْ بعد ذلك من خدمتهُ هذه الخدمة بالمناعة التامّة على شرّ آفة !

نشأة

الديانة المسيحية في لبنان

محاضرة القاها في نادي الشبيبة الكاثوليكية في بيروت

حضرة الخوري بطرس غالب

١

سيدي الرئيس

قبل ان اشكرك على ما تلطفت بهِ من جميل الثناء ، إيذن لي ان أحيي بعاطفة التأثر ذكر ذلك الراهب المتكمل ، والعالم المقدام ، المأسوف عليه كثيرا الاب لويس شيخو ، الذي جمع بين سذاجة الطفل وسعة علم نادرة المثيل في الشؤون الشرقية . فانهُ ، رحمه الله ، ما احتفظ بما اكتنزه من المعارف بل سعى السعي الموفق الى نشره بما اذاعه من المؤلفات وما القاه من المحاضرات

فاني ، ان عبرت الآن عن الاسف الشامل الذي عمّ البلاد لفقده ، فما صوتي الّا صدى لما سمعته ورأيته . ويحق للتاريخ الكنسي الشرقي ان يلبس الحداد على العالم الذي تفانى في كشف ما استطاع من اسرار اجيال النصرانية الاولى في الشرق . ولا يمكن ان نطرق هذا الباب دون ان ترتسم صورته امام اعيننا فان خسارته ليس بالهيّن الاستعاضة عنها . عسى ان يكون نال جزاء العملة الصالحين النشيطين

والان تحت اشراف هذا الفقيد الجليل ، اشرع في الكلام عن الموضوع الذي دُعيت لبسطه امامكم . على انهُ لا بد لي من القول اولًا انك يا حضرة الرئيس وصفتني لهؤلاء الكرام وصفاً اوقعني في حيرة وارتباك . غير اني التمس من كرم اخلاقهم ان ينظروا اليَّ بعين الرفق اذا لم أقم بما قد يتوقعونه مني

استناداً الى ما وعدتهم به . فليس لي الّا ان اعرب لك عن شكري لشعورك الرقيق واقدم بكل جرأة على طرق الموضوع الذي اقترح عليَّ وهو: نشأة الديانة المسيحية في لبنان .

***

ان لبنان المقصود من خطابي هذا انما هو لبنان اليوم، التاريخي والجغرافي ، الذي اعيد الى تخومه الطبيعية بفضل مساعي غبطة البطريرك اللبناني الجليل ومساعدة الدولة الفرنسية النبيلة . يحدّه قبلةً رأس الناقورة ، وشمالاً النهر الكبير ، شرقاً قمم لبنان الشرقي ، وغرباً بحر الروم .

فلبنان هذا لم يدخلهُ الدين المسيحي دفعةً واحدة ودون صعوبة ؛ بل اخذ ينسل باديءَ ذي بدء في المدن الساحلية، لان فتحها كان أيسر من فتح غيرها ، اذ ان اليهود المتنصرين ما كانوا ليروا محذوراً في التبشير بالانجيل في الجهة الجنوبية من بلادنا بما انها كانت في نظرهم جزءاً من ارض الميعاد . وكان لبنان هذا منذ القديم منحصراً في اقليمين كنسيين : اقليم فينيقية البحرية ، وقاعدة مطرانيته مدينة صور ؛ واقليم فينيقية لبنان ، وقاعدة مطرانيته حمص . وكان الاقليم الاول يشتمل على الساحل من مدينة عكا حتى مدينة اورتوزيار(١ في بلاد عكار . والثاني يضم السفح الشرقي من لبنان وسهل البقاع والسفح الغربي من انتيلبنان . اما هذا الاقليم الاخير فانه اقتطع وسلخت منهُ مدينة حمص كرسي مطرانيته .

ويخيَّل اليَّ ان هذا التنظيم قد كان نتيجة التبشير بالانجيل الذي تمَّ في عصرين غير متقاربين . فكان انهُ لمّا اكمل الرسل عملهم التبشيري في السواحل فتبعهم فريق من سكان مدنه ، جعلوها اقليماً كنسياً مستقلّاً وعيَّنوا لها رعاة ولّوا عليهم اسقف مدينة صور .

واعلم ان المخلّص لهُ المجد قد وطئ ارض فينيقية الساحلية فاتى صور وصيدا وروى بعضهم انهُ زار مدينتنا بيروت . وقد ورد في انجيلي متى ومرقس ذكر مجيئهِ الى منطقتي صور وصيدا

---

١) هي الآن أرتوزي قرب النهر البارد (لامنس)

ولا ريب ان المعلم الالهي كان يخرج احياناً خارج اراضي اليهودية بل يترك اراضي الجليل ايضاً لكي يخلو الى نفسه متأملاً ثم يعيد الكرة على الفريسيين وعلماء الناموس المرائين . وفي آخر مرة قدم الى اراضي لبنان انبأ رسله انهُ سيسلَّم الى ايدي اعدائه ليميتوه على انهُ في اليوم الثالث يقوم . وكان هذا الدور الاخير من حياته على الارض قريب الحلول

* * *

ان المهمة التي القاها الاب السماوي على عاتق يسوع لم تكن محصورة ضمن نطاق معلوم ، او زمن مقيَّد . ولذا يمكننا التصريح والتأكيد انه قد نادى بالحقيقة امام سكان هذه البلدان ليقوم بحق رسالته اولاً ، ليكافئ اهل صور وصيدا نظير تشوقهم الى التعرّف اليه ؛ فانهم ما اكتفوا بان اتوا اراضي الجليل القريبة منهم ليسمعوا تعليمه بل انطلقوا الى اورشليم ذاتها . ولذا جاز يسوع الى اراضيهم ليشفي سكانها على ما ارتأى القديس ايرونيموس

وفي واقع الحال ، ما كاد السيد المسيح يجتاز تخوم الجليل حتى وافتهُ امرأة كنعانية فانطرحت عند قدميه متوسلة ان ينقذ ابنتها من شيطان كان قد تسلط عليها . لكن يسوع لم يلتفت اليها ولم يستجب سؤلها ، حتى اعلنت بايمانها به واتت فعل تواضع حقيقي . قال لها : « او ما تعلمين ان خبز الابناء لا ينبغي ان يُلقى للكلاب » . قالت : « بلى . ولكن الكلاب ايضاً تلتقط الفتات المتساقط عن مائدة البنين » . فلمّا بدت منها تلك الثقة العظيمة طيّب الخاص نفسها وطرد الشيطان من ابنتها . وبهذه الاية أهّب العقول لقبول تعليمه

ومثل ذلك صنع في رحلته الثانية الى لبنان الجنوبي . فانهُ في اثناء انطلاقه الى ارض قيصارية فيلبّس (١ دنت منهُ امرأة بها نزف دم فلمست طرف ثوبه فشفيت لساعتها . فهذه ارادت ان تخلد ذكر تلك الاعجوبة وتعرب عن عاطفة شكرها الى المحسن اليها ، فاستصنعت صورة تمثلها جاثية عند قدمي يسوع طالبة منهُ ان يبرئها وعلقتها على مدخل دارها . وقد روى اوسابيوس اسقف قيصارية ، وابو التاريخ الكنسي ، ان عشبة نبتت في تلك الصورة

١) هي بانياس الواقعة في سفح جبل حرمون

خولها الله قوّة الشفاء من الداء الذي كان مُلمًّا بتلك المرأة (١

ومن اخص اعمال الرب في تلك البقعة انهُ في مكان قريب من قيسارية فيلبّوس — وهي احدى الكراسي الاسقفية التابعة صور — وعد القديس بطرس بان يؤسس عليه كنيسته وخوّله ملْء السلطان عليها . فيصحّ القول اذًا انهُ منذ ذلك اليوم أُسس الدين المسيحي في البلد اللبناني

وقد امتدح السيد المسيح سكان صور وصيدا حين أنّب بيت صيدا وكورزين بقوله : « لانه لو كان لصور وصيدا مثل ما صنع لكما من الآيات لتابتا بالمسح والرماد . » ومما يروى استنادًا الى التقليد ان يسوع في مسيره الى صور استراح عند رأس العين وكانت امه العذراء تصحبه اليها ، وتخليدًا لهذا الحادث اطلق اسم بركة السيدة على ما كان يعرف ببئر سليمان . ثم بني هيكل فخم في المدينة نفسها اكرامًا لوالدة الله

وبعد ان صعد يسوع الى السماء اخذ الصوريون والصيداويون يأتون اورشليم ليسمعوا تبشير الرسل فمسّت النعمة قلوبهم واصبحوا هم ايضًا رسلًا يبشرون بالانجيل

ومن المعلوم ان كنيسة صور هي اولى الكنائس التي انشئت بعد اورشليم لان مؤمنيها كانوا قد اظهروا من رباطة الجأش والثبات في الايمان ما ادهش القديس بولس نفسه . وما مضى على رجم القديس اسطفانوس بضعة اعوام حتى كثر عددهم ، من الصوريين انفسهم ، ومن اللاجئين الى تلك المدينة هربًا من الاضطهاد . فنظّم لهم الرسل سلك المراتب الكنسية وجعلوا مدينتهم مطرانية ، فاصبحت على ممر الايام مرجعًا لاربعة عشر كرسيًا اسقفيًا

ومما جعل الصوريين يحافظون على وديعة الايمان مرور الرسل بمدينتهم ، وبالمدن الساحلية الاخرى في مسيرهم الى الجهات الشمالية . فانهم كانوا يقضون بضعة ايام في صور وغيرها من الثغور ليحضّوا المؤمنين على السلوك بما يفرض عليهم ايمانهم ، ويكسروا لهم خبز الكلمة ، ويثبتوهم في الايمان ، وينشطوهم للوقوف في وجه المضطهدين

١) وقد رواه الدويهي في « منارة الاقداس »

وكان اليهود يثيرون الاضطهادات ، او يغرون الوثنيين على اشعال نارهـا فتصلى بشدَّة عظيمة . وكانت الاوامر تصدر من مجمع اورشليم

حين كان القديس بولس عائداً الى اورشليم بعد سفرته الاولى الى سورية الشمالية الحّ عليه مؤمنو صور ان يعدل عن فكره لان اعداء الايمان ينتظرون قدومه بنزوغ صبر ليميتوه . فشكر لهم عواطفهم الشريفـة غير انه بقي مصراً على عزمه ، فانقادوا لارادته . لكنهم شيَّعوه الى شاطئ البحر ، وقبل ان يركب السفينة جثوا امامه طالبين بركته وصلاته والدموع تجري من عيونهم غزيرةً

كذلك القديس لوقا التقى في صور بتلاميذ كثيرين ادهشته رباطة جاشهم

وكنت اود ان اذكر لكم اسماء اساقفـة صور الاولين لكن التـاريخ بخل علينا بها . بيد ان هذا لا يمنعنا من التأكيد ان صور رئسها اساقفة من عهد الرسل ، لانها كانت اول مدينة خارجة عن تخوم اليهودية والجليل بُشّر فيهـا بالانجيل . وقد توفقت في الوقوف على اسماء بعض هؤلاء الاساقفـة الاولين : مثل كاسيانوس الذي شهد مجمع قيسارية فيلبوس المنعقـد عام ١٩٠ للبحث في قضية الفصح ، وزينون الذي حضر مجمع القسطنطينية

وقد شربتْ ارض صور دماء كثيرين من الشهداء وابعدهم شهرةً الاسقفان تيرانيوس ومتوديوس

وفي صور بُنيت اجمل كنيسة في فينيقية، دمّرت سنة ٣٠٣ ثم اعاد بناءها بولينوس الاسقف ، ويوم تدشينها خطب اوسابيوس اسقف قيسارية معدّداً امجادها

وحاول الاريوسيون ان يستولوا على هـذا الكرسي فعقدوا مجمعاً ضد القديس اثناسيوس سنة ٣٣٥ ، فما عتم الضلال ان حبطت مساعي اهلـه . وفي سنة ٥١٨ التـأم مجمع آخر في كنيسة صور الكاتدرائية رئسه ابيفـانيوس ، رئيس الاساقفة ، لمحاكمة ساويروس الدخيل . فطلب الشعب المتألب حول الدار الاسقفي ان يحرم ساويروس ويوحنا مَندريت ، والاضاليل التي كانا يناضـلان عنهـا ، اي مذهب الطبيعة الواحـدة . فلما قطعا من شركة الكنيسة ، دوت اصوات الهتاف اكراماً للعذراء المجيدة ، وصرخ الشعب المؤمن قائلاً : «قد أُخزت أمُّ الله ساويرس مُقلق الكنائس ! »

غير ان هؤلاء الهراطقة تمكنوا بعد اعوام قليلة ، بفضل مساعدة الامبراطرة لهم ، من ان يقيموا في صور وسائر المدن الساحلية وضواحيها . وقد قال بطرس الايباري — الذي عاش في القرن الخامس وكان من اتباع مذهب الطبيعة الواحدة — انه شاهد ثمَّ عدداً كبيراً من الاديار يسكنها من المونوفيزيتيين رجال ونساء عديدون . وفي عام ٦٣٦ خربت صور المسيحية وانتقض فيها نظام المراتب الكنسية . وذلك ان اعصاراً قاتلاً هب من الصحراء فدمَّر كل ما صادف في طريقه . وبقيت الحال على هذا المنوال الى عهد الصليبيين الذين رمموها . لكنها عادت فخربت بعد ان رحلوا عنها

وتألفت في صيدا جماعة من المؤمنين زارها القديس بولس يوم قذفت الريح سفينته الى شواطئ تلك المدينة ، حينما كان مسافراً الى رومية . فاقام بين اظهرهم مدة قليلة ، تأكد في غضونها انه قد مضى عليهم عشرون سنة وهم ثابتون على ايمانهم فسرَّ بهم سروراً عظيماً .

وقد سُقيت تربة هذه المدينة بدم الشهداء ، واشهرهم زينوبيوس الكاهن الطبيب . وشهد احد اساقفتها المدعو تيودور مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ . وفي صيدا عقد مجمع ضم ٨٠ اسقفاً هرطوقياً التأموا ليحرموا المجمع الخلقيدوني وحاولوا ان يعزلوا فلافيانوس بطريرك انطاكية ويجلسوا موضعه ساويروس المنافق الشهير ، تلميذ مدرسة الحقوق في بيروت . وكان هذا الرجل قد حاز منزلة ونفوذاً بتزهده وتقشفه واتساع معارفه

وفي سنة ٥٥١ نقلت اليها مدرسة الحقوق البيروتية بعد ان دمر الزلزال مدينة العلم . فنالت شهرة ولمعت مدة ثمنين سنة الى ان مرَّ بها الاعصار فلم يبق ولم يذر . فطمس الاسم المسيحي فيها الى عهد الصليبين ، وحلَّ بها ما حلَّ بصور (للبحث صلة)

الدكتور طه حسين

ونظراته في الادب العربي وتدريسه

للاب فردينان توتل اليسوعي

ما من حاجة الى تعريف القراء بالدكتور طه حسين. حلّ بلادنا في العامين الاخيرين، مرّةً ليمثل الجامعة المصرية في المؤتمر الاثري واخرى لقضاء موسم الحر في مصايف لبنان؛ وهو في مصر من الاعلام المشار اليهم بالبنان، تخرّج من الازهر الشريف واقتبس العلوم من مصابيحها في اوربة، فعُهد اليه امر تعليم ادب اللغة العربية بالجامعة المصرية

التي دروسه على تلامذتها اولًا ثم اذاعها في الناس على صفحات الكتب والمجلات والجرائد فانتشرت انتشارًا واسعاً

وان اسلوبه الجديد، المتمكن بالعربية، والمتشرّب روح الغرب، قد هداه الى ابراز افكار لم تألفها البيئة العلمية العربية في مصر. فصار هدفاً لاستحسان البعض ولغضب غيرهم، حتى اضرم نار فتنة ادبية التحمت حول شخصيته القوية، فآل امرها الى «المعركة بين القديم والحديث»: وقف فيها الدكتور طه حسين ومن حبّذ منهجه من رجال الادب والعلم، واخذوا يبثون الدعاية الى النهضة الادبية والى نبذ ما قد رثّ من القديم، واصطف تجاهه حزب الغيُر على سمعة القديم، المحافظين على تقاليده، لما لها في نظرهم من العلاقات الوثيقة مع الامور الدينية فوضعوا المؤلفات ردًا ودفاعاً (١

لست ابغي خوض المعركة بين الفريقين، انما غرضي في هذا المقال بسط آراء الدكتور طه حسين في الادب العربي وتدريسه؛ وهذه الاراء مدوّنة في المقدمة

---

١) راجع لطفي جمعه: الشهاب الراصد. . رد على كتاب الشعر الجاهلي – محمد وجدي: نقد كتاب الشعر الجاهلي – مصطفى صادق الرافعي: تحت راية القرآن، المعركة بين القديم والجديد. . وقد وصف المشرق هذه الكتب عند ظهورها

التي صدّر بها صاحب الكتاب « في الشعر الجاهلي » ، الطبعة الثانية من كتابه، وقد سماه « في الادب الجاهلي » واحدث فيه بعض التغييرات من حذف فصول واضافة فصول

تلك المقدمة تشمل سبعاً وخمسين صفحة ، من القطع المثمن ، يصف فيها الدكتور طه حسين اولاً حالة التدريس في مصر في اوائل هذا القرن فيكشف عن نقائصها ويلتمس سبيل الاصلاح اليها . فيسوقه البحث الى نظرات ثاقبة في اصول الثقافة ومعاني الادب وتاريخه وشروط نشأته وازدهاره وتنوّعه ، فيضع من ثمّ اركان النهضة الادبية بعبارة وضّاحة تستهوي الخواطر وهو اول من نهج المنهج اليها بين العرب في ايامنا

وان في نظرات الدكتور طه حسين عبرًا ومرامي تفيد مُريدي الادب عامة وارباب التعليم خاصةً . لانها وان تكن وُضعت في مصرَ وللمصريين ، فقد عالجت اصول التعليم بنوع عام ، فيفيدنا الاطلاع عليها لاسيا في البلاد السورية اللبنانية حيث الهمم مشحوذة لتجديد برنامج الدروس العربية في معاهد الحكومة

١ كيف يدرس الادب ؟ — اين سبيل الاصلاح ؟

عدّ الدكتور طه حسين ثلاثة مذاهب فيمن يدرّسون الادب : الاول ، مذهب القدماء الناحين في التفسير نحوَ اللغويين من قدماء المسلمين مع ميل شديد الى النقد وانصراف عن النحو والصرف وعلوم البلاغة ؛ والثاني مذهب المستشرقين السالكين في درس الآداب العربية مسلك الافرنج في درس الآداب الاوربية الحيّة او القديمة ؛ والثالث مذهب يمكن تسميته «بالتلفيق» لان اصحابه يعجزون عن الاخذ باحد الاسلوبين الاولين ، اخذ المتضلع الاختصاصي ، فيعالجون شتى المواضيع ولا يستوعبون منها واحدًا

قال طه حسين :

« هذا المذهب . . . لا يأخذ بحظ من اسلوب القدماء في النقد ولا من أسلوب المحدثين في البحث، وانما يحاول ان يقلد الاوربيين فيما يسمونه تاريخ الآداب فيعيد الى الكتاب والشعراء والخطباء والفلاسفة فيترجم لهم او يختلس لهم ترجمة من كتب الطبقات على اختلافها، ثم يتبع

كل ترجمة بشيء من شعر الشاعر أو نثر الكاتب أو بيان الخطيب، ثم يلم في كل عصر بطائفة من المعاني يلفق بعضها الى بعض في غير فقه ولا فهم ولا احتياط ولا دقة، ويسمى هذا الخليط كله «أدب اللغة العربية» حيناً «وتاريخ ادب اللغة العربية» حيناً آخر. وكانت العادة قد جرت بأن يكتب اساتذة الآداب هذا الكلام للطلاب ويذيعوه فيهم فيستظهره هؤلاء الطلاب استظهاراً يستعينون به على أداء الامتحان حتى اذا فرغوا من هذا الامتحان انصرفوا عما حفظوا او انصرف عنهم ما حفظوا، لم ينتفعوا منه بقليل ولا كثير، ولم يتعلموا منه نقداً ولا بحثاً، ولم يفيدوا منه ذوقاً ولا شيئاً يشبه الذوق. وانما كان يخيل اليهم، وقد رأوا انفسهم يلمون بالآداب العربية منذ خلقها الله الى ايامنا هذه، ان صدورهم قد وعت العلم كله»

وهذا المذهب ساد ولا يزال يسود امهات المعاهد المصرية رغماً عن جهد الحكومة في احداث الاصلاح «فليس بين الدروس في هذه السنة وبين الدروس التي كانت تلقى من خمس عشرة سنة فرق ما» لا كأن الادب لم يتقدم بمصر لانك «تظفر منه بشيء كثير لا يخلو من طرافة وشخصية واستعداد صالح للنمو» بفضل ما يجده من الحياة والقوة والنشاط في الصحف اليومية والمجلات والكتب والاندية والاحاديث. اما في المدارس فانه مثقل باغلال «جماعة مضطرة الى السكون والجمود»

«فلن يستطيع الادب العربي ان ياخذ من الحياة بحظه المقدور له، ولن تستطيع اللغة العربية ان تأخذ بحظها من القوة ولا ان تصبح لغة علمية بالمعنى الصحيح» ما دامت المدارس تسير بالتلامذة على الطريقة المبتدعة، المشاعة، المؤدية بهم الى الفوز بالشهادة لا غير

قال طه حسين:

«ما اكثر ما نشكو من ان اللغة العربية ليست لغة التعليم، وما اكثر ما نضيق ذرعاً باضطرارنا الى اصطناع اللغات الاجنبية في التعليم العالي! ولكن ما اقل ما نبذل من الجهد لنجعل اللغة العربية لغة التعليم، بل نحن لا نبذل في هذا جهداً ما. وكيف تكون اللغة العربية لغة التعليم وهي لا تدرس في المدارس المصرية! فاللغة العربية لا تدرس في مدارسنا وانما يدرس في هذه المدارس شيء غريب لا صلة بينه وبين الحياة، لا صلة بينه وبين عقل التلميذ وشعوره وعاطفته. وآية ذلك انك تستطيع ان تمتحن تلاميذ المدارس الثانوية والعالية وتطلب اليهم ان يصفوا لك في لغة عربية واضحة ما يجدون من شعور او احساس او عاطفة او رأي، فان ظفرت منهم بشيء فانا المخطئ وانت المصيب؛ ولكنك لن تظفر منهم بشيء، او لن تظفر من

أكثرهم بشيء. فإن وجدت عند بعضهم شيئاً فليس هو مديناً به للمدرسة وانما هو مدين به للصحف والمجلات والاندية السياسية والادبية »

وان المؤلف لا يمس الجرح ليدميه فحسب، بل يلتمس له الشفاء بما لديه من الادوية والعقاقير. وهي على نوعين: احدهما موقت نتعلل به حتى نستطيع الحصول على الثاني.

فالاول ان نجتهد ما استطعنا في ان نحبب الى طلاب المدارس قراءة النصوص وتفهمها فنقربها اليهم ونحسن لهم اختيارها ليكونوا على بينة « ان الادب العربي ليس جافاً جدباً عسر الهضم لا سبيل الى اساغته ولا الى تذوقه وانما هو لين خصب لذيذ وفيه ما يرضي حاجة الانسان في حياته الفردية والمنزلية والوطنية والانسانية »

وانه لواجب على الحكومة ان تأخذ على عاتقها مهمة عرض تلك الصور الجذابة الحلوة من الادب، على الشبان فتعهد بامرها الى طائفة من الفنيين « الذين لم يتخذوا الادب وسيلة للعيش انما هم يدرسونه عن ذوق وفقه » فتستعين بهم على الاصلاح الموقت ريثما تجد سبيلاً الى تهيئة معلمين اختصاصيين، لان الاساتذة الحاليين ليسوا اكفاء للقيام بمهمتهم. وصفهم طه حسين فعابهم وعيرهم « باللغو ورصف الكلام » وهم مع ذلك يحتكرون اللغة ويدعون بالعصمة من الغلط او يكادون « وليس فيهم كاتب ولا ناقد » ثم تعوذ من نقائصهم باقتراحه على الحكومة في « الغاء دار العلوم والاعتماد على مدرسة المعلمين والجامعة وهذان المعهدان وحدهما قادران على تقدير حاجة اللغة العربية وارضائها لما بينها وبين الحياة العلمية الاوروبية والادب الاوربي من اتصال متين. لان مدرسة دار العلوم لا تعرف من الادب الاوروبي ولا من الحياة الاوربية الا صوراً مشوهة ان لم تضر فلن تفيد» وقال:

«وكيف تتصور استاذاً للادب العربي لم يلم ولا ينتظر ان يلم بلغة اجنبية ولا بادب اجنبي ولا بنهج من مناهج البحث عن حياة اللغة واطوار الادب! وكيف تتصور استاذاً للادب العربي لا يلم ولا ينتظر ان يلم بما انتهى اليه الفرنج من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وآدابه ولغاته المختلفة! وانما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس. ولا بد من

الناس عندهم حتى يتاح لنا نحن ان ننهض على اقدامنا ونطير بأجنحتنا ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وآدابنا وتاريخنا »

ولاستاذ الجامعة في هذا المقام كلام جريء لم يدر في خلد جيلنا انه يسمعه عن علامة مسلم ، نرويه على حرفه لما فيه من حجج راهنة لا بد من التبصر فيها ان كان في القلوب بارقة امل بتحقيق ما نرغبه للاداب العربية من حياة جديدة تنعشها وتضعها في مصاف الاداب الغربية

بعد ان وصف طه حسين داء العقم الذي اعترى دار العلوم قال (وجه ١٢) :

« لا بد من العدول عنها الى دار المعلمين العليا والى الجامعة المصرية ولكن على ان يذهب هذان المعهدان في درس الادب العربي مذهب الجامعة المصرية القديمة ، يدرسانه كما كان يدرسه القدماء في عناية قوية باللغة والنحو والصرف والبيان والغريب والعروض والقافية ، ويدرسانه كما يدرسه المحدثون في عناية قوية بفهم الصلة بين الادب والشعب وبين الادب وغيره من مظاهر الحياة العقلية والشعورية المختلفة ، وفي عناية قوية بتحقيق الصلة بين آداب الامم المختلفة وما يمكن ان يكون لبعضها من تأثير في بعضها الآخر ، يدرسانه معتمدين في درسه على اتقان اللغات السامية وآدابها ، وعلى اتقان اللغتين اليونانية واللاتينية وآدابها ، وعلى اتقان اللغات الاسلامية وآدابها ، وعلى اتقان اللغات الاوروبية وآدابها . فمن زعم لك ان الادب العربي يمكن ان يدرس الآن دون الاعتماد على هذا كله فهو اما مخدوع واما مشعوذ . وكيف السبيل الى ان يدرس الادب العربي درساً صحيحاً اذا لم تدرس الصلة المادية والمعنوية بين اللغة العربية واللغات السامية وبين الادب العربي والادب السامي ؟ وهل هناك سبيل الى ان يدرس الادب العربي دون ان تفهم التوراة والاناجيل ؟ وهل تظن ان بين شيوخ الادب في مصر من قرأ التوراة او قرأ احد الاناجيل ؟ وكيف السبيل الى درس الادب العربي اذا لم تدرس اللغة اليونانية واللاتينية وآدابها ، ولم تتبين مقدار ما كان لحضارة اليونان والرومان من تأثير في ادبنا وفلسفتنا وعلمنا ، ولم تتبين مكانة ادبنا العربي بالقياس الى هذه الآداب اليونانية واللاتينية ؟ وهل تظن ان من شيوخ الادب في مصر من قرأ الياذة هوميروس وانيادة فرجيل فضلاً عن تمثيل الممثلين وغناء المغنين وخطابة الخطباء وحوار المتحاورين ؟ !

اليس من شيوخ الادب في مصر من يعلم طلابه الآن ان ليس لليونان ادب ولا شعر ولا خطابة كما لاهل الضاد ؟ وكيف السبيل الى درس الادب العربي اذا لم ندرس اللغات الاسلامية المختلفة ولا سيما الفارسية منها ونتبين ما كان لهذه اللغات وآدابها من تأثير في ادبنا العربي الذي لم ينشأ في برج من العاج وانما تأثر بالآداب المختلفة وأثر فيها ؟ وهل تظن ان من شيوخ الادب في مصر من قرأ الشهنامة أو الم بشيء من شعر عمر الخيام او من شعر السعدي او الحافظ ؟ وكيف السبيل الى درس الادب العربي اذا لم ندرس اللغات الاوروبية الحية ونتبين تأثيرها في ادبنا الحديث ؟ ثم كيف السبيل الى درس الادب العربي اذا لم تأخذ بمناهج البحث العلمي الحديث وتدرس آدابنا كما يدرس الفرنسيون والانجليز والالمان آدابهم ؟

٢ الثقافة ودرس الادب

لم ينه المؤلف كلامه في شأن المدارس والمدرسين حتى تناول البحث في امر المواد الواجب الالمام بها لوفاء درس الادب حقه ، فميز فيها عنصرين : الاول دعاه الثقافة العامة ، وهو بمثابة الاساس البناية يستحيل دونه تشييد صرح العلم الحقيقي في اراضي العلوم . هذا الاساس يشمل المعارف المهذبة في الانسان قواه الروحانية والحساسة ؛ والمروضة العقل على التبصر ، والارادة على العزم ، والشعور على الرقة ، والمخيلة على الخيال : حتى اذا لعبت ادوارها في مسارح النفس ، تناولت مواضيع الحياة باطرافها كافة ، فذاقتها وساغتها وتغذت بها وتقوت وتجهزت من ثمّ للاختصاص بفرع من العلوم دون غيره ؛ وهذا الاختصاص هو العنصر الثاني الذي يتبسط بوصفه استاذ الجامعة المصرية

وتلك الثقافة العامة لا تتم ، في نظره ، الا بالاطلاع على الآداب التي هذّبت الشعوب الاوروبية اعني بها اليونانية واللاتينية . ومن الضروري ان يضاف اليها درس لغة او لغتين حيّتين حتى اذا اخذ منها الطالب حظًا وافرًا وتوسعت قواه النفسية والحسية ورحب صدره تمكن من الانتقال من الدروس الثانوية الى معاهد التعليم العليا وخاصة الى درس الادب وتدريسه

«ولم اذكر شيئًا آخر كان ينبغي ان يجيء قبل هذا كله لانه اساسي لا لدارسة الادب وحده بل لكل دراسة علمية قوية منظمة ، وهو هذه الثقافة العامة المتينة التي لا يستطيع ان يستغني عنها طالب الادب كما لا يستطيع ان يستغني عنها طالب الكيمياء ، بل كما لا يستطيع ان يستغني عنها كل انسان يريد ان يعيش عيشة راقية في بيئة راقية . ولعل حاجة الادب الى هذه الثقافة اشد من حاجة الدراسات الاخرى على اختلافها ، فالادب متصل بطبيعته اتصالاً شديدًا بانحاء الحياة المختلفة سواء منها ما يمس العقل وما يمس الشعور وما يمس حاجاتنا المادية . والأدب بطبيعته شديد الحاجة الى المقارنات والموازنات . وليس من سبيل الى التعمق في الادب على هذا النحو الا اذا كان الطالب قد تمكن من هذه الثقافة المتينة الواسعة العميقة . وكيف السبيل الى درس الادب العربي اذا كان الطالب يجهل ، كما يجهل طلابنا وشيوخنا ، آيات الادب الاجنبي قديمه وحديثه ، هذه الآيات التي اثرت في حياة الانسانية كلها والتي تتناقل العلم بها في طبقات الشعوب الغربية كافة ! ولقد يكون من العسير ان تجد في مصر شيخًا من شيوخ الادب قد قرأ هوميروس او سوفوكل او ارستوفان فضلاً عن شكسبير او تلستوي

او أبين ، ذلك عسير ان لم يكن مستحيلاً . وما رأيك في انك لا تكاد تجد في فرنسة او المانية او انكلترة شاباً من اوساط الناس لا يختص في الادب ولا يعنى بدراسته دون ان يكون قد المّ من هذا كله بحظ لا بأس به »

٣ الادب

ومن ثمّ تطرّق الدكتور طه حسين الى البحث في معنى « الادب » . فحلّل هذا اللفظ تحليلاً علمياً ، تلا فيه تلو الافرنج في استنباطهم اصول الكلم ، متقصياً آثاره في بطون التاريخ ، متبصراً في معانيه على تطورات الزمان . فان بعضهم اشتقهُ من « الادب » بمعنى الدعوة الى الولائم ، اما الاستاذ نلينو ، فاشتقهُ من « الدأب » بمعنى العادة ، وهو على رأيه ، من «أدآب» جمع دأب ثم قلبت فقيل « آداب » كما جمعت بئر على آبار . ومهما يكن من صحة إفتراض هذا او اولئك « فالشيء الذي لا شك فيه هو اننا لا نعرف نصاً عربياً جاهلياً صحيحاً ورد فيه لفظ الادب ، حتى ولا في القرآن » . نعم ورد اللفظ في الحديث ، في قوله (صلعم) : «ادبني ربي فاحسن تأديبي» الّا ان هذا الحديث « لا يثبت ثبوتاً لا يقبل الشك » . اما الرواية التي ظهر فيها هذا اللفظ ، ولا ريب في صدقها ، فهي النصوص التي أستعملت فيها هذه المادة ايام بني اميّة ، ومعناها التعليم على النحو المألوف في ايامهم . اي « التعليم برواية الشعر والاخبار واحاديث الاولين وكل ما يتصل بالعصر الجاهلي وسيرة الابطال قدمائهم ومحدثيهم وكل ما كان من شأنه تكوين الثقافة » ولكن هل يكون اصل اللفظ عربياً او ألا يكون من لغة سامية غيرها ؟ وللمؤلف في التأثر المتبادل بين اللغات السامية نظرات جديدة نضرب صفحاً عنها لضيق المقام، على ان تحليله، المدقق يؤدي به الى وصف معاني« الادب » على اختلاف اصطلاحاته في القرون الاولى للهجرة وعلى المقابلة بينه وبين ما يدل عليه عند الامم الاجنبية القديمة او الحديثة فيستخلص من ثم (ص٢٤) ان :

« الادب قد كان في القرن الثاني والثالث والرابع يدلّ على ما يؤثر من الشعر والنثر وما يتصل بهما تفسيرهما من ناحية ونقدهما من ناحية اخرى »

ولا يخالجنك الظن ، ايها القارئ اللبيب ، ان تفقه المؤلف في استنباط لفظة الادب ومعانيه وتحديدها لهو اسهاب ليس من ورائه نتيجة لان كل كلمة

من التحديد المنطقي الذي انتهى اليه طه حسين صارت بين يديه ركناً اقر عليه حجته ليحتج به للجديد على القديم؛ كيف لا وقد جاء في تحديده للادب «انهُ كل مأثور من الشعر والنثر وما يتصل بهما في التفسير والنقد» . وهل يتم ذلك الاتصال بالتفسير والنقد ما لم يُعمل فيه المفسر او الناقد رويته مع مراعاة حقوق الشعر والنثر وزمان وقوعهما ومكانه . وان ذلك يلجئه الى بعض الالمام بجميع المعارف البشرية والى حسن التعبير عنها اعني انهُ محتاج في تدريس الادب وتاريخه الى الثقافة العامة التي سبق طه حسين ووصفها فجاء اذاً برهانه الثاني دعامةً واثباتاً لحجته الاولى قال (ص ٢٦) :

«ولكن مؤرخ الادب لا يستطيع ان يكتفي بمأثور الكلام ولا بهذه العلوم والفنون التي تتصل بمأثور الكلام اتصالاً شديداً لتمكننا من فهمه وتذوقه . وانما هو مضطر الى ان يتجاوز هذا الانسان من حيث هو حيوان ناطق يجب أن يعرب عما في نفسه بصورة كلامية فنية . فهو مضطر الى ان يدرس تاريخ العقل الانساني ، وهو مضطر الى ان يدرس تاريخ الشعور . ولنمد الى التبسط فنقول أن مؤرخ الآداب مضطر الى ان يلم بتاريخ العلوم والفلسفة والفنون الجميلة وتاريخ الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ايضاً الماماً يختلف ايجازاً واطناباً ويتفاوت إجمالاً وتفصيلاً باختلاف ما لهذه الاشياء كلها من تأثير في الشعر والنثر او تأثر بهما . . . ولاضرب لك مثلاً عربياً : فهل ترعم انك تستطيع ان تفهم همزية ابي نواس : دع عنك لومي فان اللوم اغراء . . دون ان تعرف النظام خاصة والمعتزلة عامة وما كان لهم من مذهب وقوة ايام ابي نواس ؟ وكيف تستطيع ان تفهم قوله :

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء

اذا لم تعرف انهُ يريد النظام ، فاذا عرفت انهُ يريد النظام فانت في حاجة الى ان تعرف من النظام . ولم عرض به ابو نواس ؟ فسترى ان النظام كان من المعتزلة الذين يقولون ان اصحاب الكبيرة مخلد في النار ، واذ كان شرب الخمر كبيرة فصاحبها مخلد في النار ؛ واذن فانت في فلسفة النظام وانت متعمق في فلسفة المعتزلة ، وانت مضطر الى ذلك اضطراراً ، مضطر الى ان تدرس التوحيد واختلاف اهل السنة والمعتزلة فيه لتفهم خمرية من خمريات ابي نواس

تاريخ الآداب اذاً لا يكتفي بالآداب وانما هو يؤرخ معها كل شيء»

٤ مقاييس الادب وشروطه

وتبحر الدكتور طه حسين في البحث . ففرق بين الادب الانشائي والادب الوصفي ثم ضرب معدلاً لمقاييس التاريخ الادبي فهو في نظره ليس القياس السياسي . كما يزعمه انصار القديم في مصر . فانهم ينسبون ازدهار الادب وانحطاطه

الى ازدهار الدولة وانحطاطها فحسب؛ لكنّ التاريخ شاهد ان هذه السنة لم تجرِ طرّاً في العصور كافةً . وليس هو المقياس العلمي كما اتخذه « سانت بوف » « من درس شخصيات الكتّاب والشعراء درساً نفسياً عضوياً » وليس هو كما حسبه « تين » من آثار الامة التي ينشأ فيها المؤلف او من آثار الجنس الذي ينشأ منهُ في زمانه ومكانه . وليس هو كما اورثه « برونتيير » الذي اخضع فنون الادب وانواعه لنظريات النشوء والارتقاء على مذهب اصحاب التطور . انما هو المقياس الادبي الشامل للعلم والفن معاً : ذلك هو المقياس الذي اتخذه طه حسين

فالعلم يقضي على مؤرخ الادب بالانصاف فلا يتأثر بذوقه وميله فيما ينتهي اليه من النتائج ولا يتخذ ذوقه وشخصيته «الّا في شيء من التلطف وعلى شيء من الاستحياء» امّا الفن فينفخ في المؤلف روحاً نشيطة عطرة تولد فيه الخيال والشعور وتحول دون الجدب والعقم اللذان يعتريانه اذا اكتفى ان يكون عالماً فحسب . فالكمال اذاً في ان يبرز الكاتب في كتابه شخصيته بكمالها قلباً وقالباً عن عقل ثاقب وذهن واسع وذوق سليم يعالج الاشياء كما هي في طبيعتها وكما اتفق ذوو الالباب والثقافة على النظر الدقيق والحكم فيها . ولعلك تشعر ببعض الغموض في ما عرضته لك عن هذا المقياس الادبي فادعوك بمراجعة طه حسين في كتابه فتقف على افكاره دون ان يحجبها التلخيص عن النظر

وان مؤرخ الادب لا يبلغ مراده الّا بشرط ان تتوفر لديه المواد التي يعنى بها من مأثور الشعر والنثر ولا يتم ذلك الا بعد نشر روائع المؤلفات العربية نشراً قيماً متقناً معهود امره الى رجال مقتدرين فيمهدون الطريق للمؤرخين «فعلى كلية الادب ومدرسة المعلمين تخريج هؤلاء العمال الذين اشرنا الى امثالهم في اوربا والذين يتفقون حياتهم وجهودهم على تهيئة الارض واعداد مواد البناء »

الاب شيخو والتاريخ

بقلم الاب لامنس اليسوعي

في آخر جزء من مشرق سنة ١٩٢٧ اختصر مديرنا المأسوف عليه حركة المجلة العلمية ، في الخمسة والعشرين سنة الاولى من حياتها . وعلى رغم من استحكام الداء الذي اودى بـه قبل الاوان ، اراد ذاك العامل الكبير أن يلقي نظرة على عمل خصص في سبيله افضل سني حياته المخصبة . فكان مقاله مختصراً ، ولكن واضحاً ، ككل ما خطّه ذاك القلم . فذكر قبل كل شيء جميع من عاونوه بطريقة دائبة او منقطعة . ولم ينسَ الّا ذكر نصيبه . وقد كان هذا النصيب عظيماً لا حاجة الى تعريف القرّاء به . على اننا رأينا ان نذكر ، في الاسطر التالية ، شيئاً من ذاك النصيب فيما يخصّ الاب شيخو بصفة كونه مؤرخاً

قبل ان يبني المهندس القصر الرفيع ، يبدأ بجمع المواد المعدّة لبنائه . فيختارها متينة ، صالحة ، نافعة لاتمام العمل . وهكذا فان التاريخ ، الذي هو اعادة بناء الماضي ، يلزمه عمل استعدادي ، عمل شاقّ ، عمل وضيع ، ولكنه ليس بالاقلّ نفعاً . هذا العمل ! يقوم باكتشاف الوثائق ونشرها وهي الموادّ التي يلزم المؤرّخ استعمالها في عمله التاريخي . ونحن نرى ان الاب شيخو خدم التاريخ في هاتين الطريقتين ، فعمل في سبيل تقدّمه وازدهاره .

وفعلًا فان قليلًا من المستشرقين يعادلون فقيدنا في اكتشاف المخطوطات ، وتقديرها حقّ قدرها ، ونشرها بتلك الصراحة والدقة ، التي يزيدها صعوبة



الاب شيخو على فراش الموت (بريشة الاب برجي)

خلوّ المكاتب الّا من نسخة واحدة من المخطوطة ، مع المشقّة في تفهّم قراءتها لما يكون فيها من التصحيف والتحريف . ولكنه في جدّه وراء الوثائق النادرة والغير المنشورة ، لم يكن ليبالي بشيء ، ولم يكن شيء ليثبّط عزيمته : لا الاسفار الشاقّة الى المناطق السحيقة والموحشة بعض الاحيان ، ولا الجلسات الطويلة تُخصّص كلها لنقل المخطوطات . ففي هذا العمل المطّرد ، تفانت ببطء وبدون ان يشعر ، بنيةُ هذا العالم المتينة التي كان من حقّها ان تخدمه مائة سنة . وكان ، اذا ابتعد بضع ساعات عن محلّه المعتاد اي المكتبة الشرقيّة ، يذهب الى مكاتب المدينة ، فيبحث فيها ويعود ، مثقل اليدين بالكتب الجديدة . اما اذا خرج من بيروت ليلتهي قليلاً من الشغل المعتاد ، فكان ينصرف بكليته الى الملهاة الوحيدة التي عرفها والعزيزة لديه ، الا وهي الجدّ وراء المخطوطات . وكم كان هذا الجدّ وافر الانتاج ! ان زوّارنا المتعادين تحققوا ذلك مرّات عديدة . اما الآخرون فيتحققونه ، اذا ما القوا نظرة على « بيان مخطوطات المكتبة الشرقية » الذي ظهر في نشرة كلية القديس يوسف (Mélanges de l'Université S[t] Joseph)

ولم يكن فقيدنا ليستأثر بهذه الكنوز العلميّة ، وهو لم يُعرف قط براحدة من تلك الخلال الغريبة التي تنفّر الناس احياناً من بعض غواة الآثار وجمّاعها . ولكنه بذلها لإفادة الجمهور ، فرتّبها بطريقة عقليّة ، وكان يظهرها ، دون ملل ، لكل زائر ، ويسهّل الاطّلاع عليها والاستفادة منها لجميع معتادي المكتبة الشرقية ، ويجيب على كل الاسئلة والاستفهامات المتراكمة عليه من الغرب والشرق . ويعرف جميع من عاشره ، تلك الصفات السامية التي كانت تدفعه للتضحية والترفّع التام عن تطلّب الشهرة الشخصيّة . ولم يكن وقته يسمح له بفرصة الّا اغتنمها لنشر مخطوطاته ، وجعلها بين ايدي الدارسين نطبها مع مقدّمات قيّمة ، وشروح وافية ، كثيرًا ما كانت تثير او تحلّ بعض المسائل التاريخيّة

ولما كان الاب شيخو من فطرته ميّالًا لوصف الكتب ، نال في هذه الاعمال حظًّا وافرًا . فظهرت غيرته على هذا العلم في كتابه « المخطوطات العربيّة

تاريخاً عاما للبنان من القرن الحادي عشر الى القرن السادس عشر. وهو يتكلم عن بيروت بمناسبة صلاتها مع لبنان. فوضع الاب شيخو تاريخه من نشأة بيروت الى ايامنا هذه، مستفيداً من آخر الاكتشافات الاثرية، واحدث دروس المستشرقين الذين جدّدوا هذه المادة. ثم نشر عمله بعد ان زينه بالتصاوير القديمة فكان، دون شك، اوسع بحث واوثقه في ماضي عاصمة لبنان

* * *

ذكرنا، بين الطبعات الاولى التي قام بها الاب شيخو، شعراء العرب الجاهليين. ولا لزوم للقول ان الطابع لا يشارك الدكتور طه حسين في شكه فيما يختص بصحة الدواوين القديمة. وقد كان لهذا الكتاب الكبير، المؤلف من ٩٣٠ صفحة مثمنة، ان يسدد وجهة الابحاث التاريخية ويجعل، من نصرانية بلاد العرب قبل الاسلام، نظرية عزيزة على المؤلف حتى انه خصص لها افضل ساعات شغله العجيبة في النصف الاخير من حياته المخصبة. فنشر، بعد «شعراء النصرانية» الجاهليين، بحثه في «النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية» وهو كتاب ذو ٥٠٠ صفحة يتكون منه مقدمة «لشعراء النصرانية». وقد درس فيه المؤلف، بكل تفصيل، تاريخ النصرانية في بلاد العرب استناداً الى اقدم المصادر، واظهر انتشارها في كل الجزيرة قبل الاسلام

وان هذه المقدمة تظهر الوحيدة، بين جميع الكتب العربية، في تعمقها وكثرة البحث والتنقيش التي تنم عليه، لانه لم يكف لتأليفها، معرفة تامة بالآداب العربية فقط، بل لزم نقّاب جلود كالآب شيخو، عارف باشهر اللغات العلمية في الشرق والغرب، ومطّلع على احدث الدروس الجدلية لمستشرقي اوروبة

فبدأ المؤلف بجمع كل الشهادات المتفرقة في عدد عديد من التآليف اليونانية، واللاتينية، والسريانية، والعربية، التي تشير او تلمّح الى نصرانية العرب. وكثير من هذه الشهادات استخرجت من نصوص يصعب الاطلاع عليها، او نقلت من مخطوطات جمعها المؤلف، او درسها، اثناء زياراته العلمية

لمكاتب اوروبة والشرق . ولم تفته الكتابات القديمة ، بل استعمل كل ذلك مع ما تقدّم فاظهر فضل النصارى على جزيرة العرب الجاهلية ، وكل ما هي مدينة به اليهم ، وكيف ان آدابها اغتنت بالكثير من المفردات الدينية ، واسماء الاعلام ، والامثال ، والاشارات الى اخبار العهد العتيق والجديد ، مما يبلغ المئات من الحكم والامثال التي دخلت بعد ذلك في مجموعات الحديث الاسلامي ، الى غير ذلك من الاستعارات المسيحية التي تبدو مأخوذة عن الكتب المقدّسة

بقي صعوبة مهمة : وهي ان القصائد الجاهلية لا تتضمّن مقاطع تظهر بصراحة نصرانية اصحابها . وقد اجاب الاب شيخو على هذه المسألة ، في آخر فصل من مؤلفه ، بان ذكّر ان هؤلاء الشعراء من قبائل مسيحيّة . والحال اننا، بما نعرف من التضامن المتين الذي كان يجمع بين افراد القبيلة جميعهم ، نتحقق ان الشعراء ، وهم رافعو لواء قومهم ، لم يكونوا يفترقون عنهم في امر مهم كالديانة . وفضلاً عن ذلك فان خلوّ اشعارهم من آثار الوثنية ، ومظاهر اعتقادهم بالتوحيد ، وبالحياة المستقبلة ، وتعوّدهم الكثير من الافكار والمؤسسات والاعياد المسيحية ، والتعبير اللطيف الذي يستعملونه لذكرها والذي يُلزم كونهم في محيط نصراني او متنصّر ؛ كل هذا يهيّء المؤلف برهاناً جديداً على صحّة نظريته

وقد كان الاب شيخو يعتقد كل الاعتقاد ان تاريخ الآداب العربية اجحف بحق المسيحيين . على ان نظريّته في نصرانية بلاد العرب وشعراء الجاهلية كانت تختلف كثيراً عن الآراء المقرّرة اذ ذاك ؛ وفيها من الجرأة ما كان لا بدّ له ان يثير المعارضات . وقد يكون اعتقاده الشخصي جرّه بعض الاحيان الى الاسراع في تعميم نظريّته ،وابراز بعض البراهين التي لا تقوى على النقد الدقيق؛ وهو مصير كل النظريات الجديدة التي يطرحها رجال الاقدام . ولم يكن الاب شيخو الّا من هؤلاء . كما لاحظت مجلة « المسرّة » (1) اذ قالت : « كان » مدة اربعين سنة ، رجل الاقدام لفتح الطرق الجديدة وتمهيد السبل وتذليل المصاعب في وجه من شاء اغتراف العلوم العربية . » ولكن لم يقم احد من معارضي الاب

(1) المسرّة - عدد كانون الثاني ١٩٢٨ ؛ ص: ٤٤

ترقي العلوم في سنة ١٩٢٧

بقلم الاب يوسف فرنه اليسوعي، استاذ الكيمياء في المكتب الطبي الافرنسي

استخدام قوة البحار المجاورة لدائرتي الاقلاب

مشروع بوشرو (Boucherot) وجورج كلود (Claude) هذا، لفت نظر الجمهور، في اواخر ١٩٢٦ . محاضرة كلود الملقاة على اكاديمية العلوم، والمصحوبة بالبرهان العملي، كانت قد حولت جلسة ١٦ تشرين الثاني الى احدى اعجب الجلسات واشدها تأثيرًا في الحاضرين . لذلك امل الناس ان سنة ١٩٢٧ لا تنقضي بدون ان يُدخل المخترع في مشروعه تحسينات اضافية، نظرية او عملية . لكننا لا نقدر ان نذكر شيئاً من هذا القبيل، غير ان جورج كلود نشر في « مجلة العالمين » مقالة للعامة، في هذا الموضوع، مع سلسلة جوابات على الاعتراضات التي اثارها ذلك المشكل الكبير.

المحرك لكل هذه المباحث هو الرغبة في تجديد ذخائر قوى العالم الميكانيكية، السريعة الفناء، بسبب كثير مقتضيات التمدن العصري؛ يؤكد لنا العلماء ان ما تبقى من تلك الذخائر لا يكفي البشر الا مدة بضعة عصور، بعد الوقت الحاضر . فسدُّ هذه الثلمة هو احد اثقل هموم البحاثين العصريين؛ ليعجلوا كل التعجيل، قبل ان تفرغ مناجم الفحم الحجري وتنضب آبار البترول!

مشروع جورج كلود يرتكز على ثلاثة مبادئ مشهورة في علم الطبيعيات، اليك بيانها :

١° تستطيع دفقةُ بخارٍ مصوَّبة الى اجنحة « خذروفيةٍ » ان توجد قوة ميكانيكية . قد اطلقنا الكلمة « خذروفية » على المحرك الذي يسميه الفرنسيون turbine، لعدم وجود كلمة عربية متفق عليها، للتعبير عن هذا المحرك الخصوصي .

٢° من طبيعة البخار ان يتجه الى نقطة يكون فيها برودة . فاذا جعلنا الخذروفية بين مرجل الغليان ووعاء بارد، يدعى المكثف (condenseur) ثم اتجهت دفقة البخار نحوها، من تلقاء ذاتها، واحدثت مفعولاً ميكانيكياً.

٣ درجة حرارة الغليان تتناقص بتناقص الضغط . الماء يغلي بدرجة مئة ، تحت ضغط الهواء المعتاد ، المعروف ، عند الغربيين ، باسم «جو» (atmosphère) . لكنه يغلي بدرجة الثمانين ، على قمة الجبل الابيض (Mont Blanc) ، حيث ينقص الضغط . بل انه يمكن غليانه بدرجة الصفر ، في اناء فُرّغ من الهواء تفريغاً شديداً . كذلك يغلي ، بدرجة بين ٢٦ و ٣٠ ، تحت ضغط $\frac{١}{٣٠}$ من « الجو » ، بمعنى هذه الكلمة المحدَّد سابقاً .

كل ذلك معروف ، ليس فيه ادنى جدة لعلماء الطبيعة . اما اكتشاف بوشرو وكلود ، فهو قائم في اختيار السائلين اللذين يصوَّب احدهما الى المرجل والآخر الى المكثف . العالمان المذكوران يأخذانها من البحار الانقلابية (tropicales) ، اعني المجاورة لدائرتي الانقلاب . ان سطحها ، الملازم درجةً من الفتور ثابتة تقريباً ، وهي بين ٢٦ و ٣٠ ، هو مصدر الماء الذي يغلي تحت ضغط $\frac{١}{٣٠}$ من « الجو » . اما المياه العميقة ، التي درجة حرارتها نحو ٥ ، بعمق الف متر ، فهي التي تبرّد المكثف .

يتضح مما سبق ان مشروع جورج كلود يحاول استخدام اثنتين من اهم ظواهر نواميس العالم الفيزيكية ، ومن اشدها تماسكاً ، اعني سخونة البحار بتأثير الحرارة الشمسية ، من جهة ، ومن الاخرى ، برودتها بتأثير التيارات العميقة ، الصادرة من القطبين . كل ذكاء المخترع قائم في كونه اكتشف ان هذين العاملين القديرين هما تحت يدنا ، في مكان واحد ، وان معظم مفعوليها في البحار الانقلابية ، الامر الممكن من استثمارها على طريقة مطّردة ، خلاصتها ان انبوبين يأخذان ماء تلك البحار ، الاول من سطحها ، والآخر من اعماقها ، فيترتّب على ذلك سهولة استخدام القوى الحرارية المخزونة في المحيط .

لنحسب الآن مقدار القوة الخارجية ، الواجب إنفاقها لاستثمار قوة البحار الباطنية . يلزم اولاً نقل مياه السطح الى المرجل ومياه الاعماق الى المكثف . النقل الاول قليل النفقة ، بسبب قرب المسافة ؛ اما الثاني ، فتكون نفقته معتدلة ، اذا غُطّس الى مستوى المياه العميقة انبوب ذو قُطر كافٍ ، يُصعدها بسهولة الى مستوى السطح ، ثم الى المكثف ؛ وسبب تلك السهولة ان الماء

العميق يرتفع من تلقاء ذاته ، لينوب مناب ماء السطح المأخوذ . بقي شغل آخر ، وهو تفريغ المكثف من الهواء ، على انه يكفي اجراؤه مرة واحدة ، لان البخار الوارد من المرجل الى المكثف ، يتحول في هذا الى ماء ، فلا يزيد ضغطه على ضغط الهواء القليل ، المنبسط للغاية في ذلك الجهاز ، بعد التفريغ . وبما ان هذا التفريغ نفسه لا يتعدى درجة محدودة ، فهو سريع ويسير النفقة .

هذه ميزانية القوة الميكانيكية اللازم انفاقها ؛ وهي خفيفة كما سبقت الاشارة ؛ فما هي ميزانية القوى المستثمرة ؟ اختبار جورج كلود ، في اكاديمية العلوم بباريس ، يُطلعنا عليها . قد اجرى المخترع ذلك الاختبار بواسطة خذروفية صغيرة ، مصنوعة لتدور تحت ضغط ٢٠ «جو» ، لا $\frac{١}{٣٠٠}$ ، كما في ذلك الاختبار فهو يفضي الى نتائج اقلّ من التي يسوغ توقعها عملياً . في المرجل الذي سعته ٢٥ لترًا ، وضع ماء بدرجة ٢٨ من الحرارة ، وجعل في المكثف جليدًا ذائبًا . ثم فرّغ المرجل ، بواسطة مضخة ، فانقص ضغط الهواء فيه الى $\frac{١}{٣٠٠}$ من «الجو» ، فصار الماء يغلي اشدّ الغليان ، وتدفق البخار نحو المكثف ، مديرًا على طريقه الخذروفية ، خمسة آلاف دورة في الدقيقة ، اي نحو ٨٣ في الثانية ! هذه القوة الميكانيكية تشعل ثلاثة قناديل كهربائية ، صغيرة بضياء ابيض ، باهر ، يثبت ما دامت درجة الماء دون عشرين .

لنفرض ان ماء المرجل يتجدد على الدوام ، بواسطة مضخات ، ويلازم درجة ٢٨ ، وان ماء المكثف يتجدد ايضاً ، ليبقى باردًا ؛ في هذه الظروف تكون النتيجة العملية اجمل كثيرًا مما كانت في اختبار كلود . من جهة اخرى ، اذا صنعنا خذروفية تدور تحت ضغط يسير ، فالإنتاج يزيد زيادة اضافية .

هذه هي الارقام التي تحققها المخترعان بالاختبار : من كل متر مكعب من ماء سطح البحر ، يمكن استخراج ٥٠٠٠ كالورية (calories) ، او بتعبير آخر ، انّ ٨ كيلوغرامات بخار تحدث تحت ضغط بين $\frac{١}{١٠٠}$ و $\frac{١}{٣٠٠}$ من «الجو» شغلَ ستة الف كيلوغرامتر . واذا فرضنا ان انتاج الخذروفية العملي لا يتعدى ثلاثة ارباع قوتها ، فان القوة المستخرجة من متر مكعب من ماء سطح البحر ، ينتج ٧٥٫٠٠٠ كيلوغرامتر . يجب ان يُطرح من هذا الرقم ما يُبذل من

الشغل الخارجي لاستخراج المياه الحارّة والباردة ، لنبذ ما استُخدم منها ، لابعاد الغازات المتحلّلة فيها والمنقصة لدرجة تفريغ المرجل والمكثّف ، اخيرًا لعمليّة التفريغ نفسها . كل ذلك الشغل المبذول لا يتعدّى ٣٠،٠٠٠ كيلوغرامتر لكل متر مكعّب من الماء البحري؛ اذًا يصبح الربح المحض ٤٥،٠٠٠ كيلوغرامتر. وبفرض كون ذلك الماء يتدفق في جهاز كلود ، بمقدار الف متر مكعّب في الثانية ، يكون الربح المحض نحو ٤٠٠،٠٠٠ كيلووات (kilowatt).

بواسطة المقابلة يفهم المرء اتم الفهم هول تلك الارقام . باستخدام اجود العُدَد لاستخراج قوّة مدّ البحر ، في مكان شديد الموافقة ، لا تبلغ هذه القوة المقتبسة من متر مكعّب من الماء ، سوى نحو ٣٠٠٠ كيلوغرامتر ، بدلًا من ٧٥،٠٠٠ ! واذا انتبهنا لعدم اطّراد المدّ ، للبنايات الفسيحة اللازمة لاستثماره ، ولليد العاملة الواجب استخدامها ، ثبت لدينا ان القوة المستخرَجة على هذا النسق يسيرة بالنسبة الى النفقات الباهظة . وهل تستوجب طريقة كلود ، هي ايضاً ، نفقات فادحة ؟

يجيب المخترع بالنفي القاطع ، بل يصرّح بان مشروعه ليس اكثر نفقة من استخدام ارفق الشلّالات لايجاد القوّة الكهربائية . واين توجد شلالات ذات علوّ كافٍ لينتج المتر المكعب من الماء ١٠٠،٠٠٠ كيلوغرامتر ، اعني القوّة المتولدة من سقوط ذلك الماء من علوّ مئة متر ؟ بل اين يوجد شلال يتدفق ماؤه بمقدار الف متر مكعب في الثانية ، او اكثر من ذلك ، بحسب اختيارك ، كما في طريقة كلود ؟ .

يتّضح ايضاً كمال هذه الطريقة بالحساب الآتي : في مصانع فرنسة التي توجد مئتي الف كيلووات من القوّة ، يكلّف ايجاد الكيلووات ١٥٠٠ فرنكا ورقاً ، اي ٧٥ ليرة سورية . فاذا حسبنا ١٦ في المئة لربع الرأسمال وسائر التكاليف ، وفرضنا ان معدّل سير المصنع هو رُبع مقدرته القصوى ، وجدنا ان ثمن الكيلووات في الساعة ١٢ سنتيماً ورقاً . من الواضح اذًا ان الاقتصاد الناجم عن طريقة كلود مُدهش في بابه ؛ واذا خامرك ادنى شكّ في ذلك ، فأعد النظر الى بيانات الدفع لنورك الكهربائي.

يسوغ لنا القول ان مشروع كلود وبوشرو هو حلّ جزئي لقتان مشكل استثمار قوّة الشمس ، وذلك باختيار بقعة الارض التي فيها مفاعيل التدفئة الشمسية والبرودة القطبية اشدّ ثباتاً واقرب تناولاً ؛ وباكتشاف وسيلة استخدام تلك المفاعيل ، رغم البون اليسير (نحو ٢٥ درجة) الفاصل بين حدّي درجة حرارة المياه البحرية ؛ وبغلي ماء لا يكاد يكون فاتراً ، تحت ضغطٍ مُنقّص ؛ وبتوجيه المجرى البخاري ، بدون قوة خارجية اضافية ، بل بمجرّد التبريد ، الى المكثف المقتبس مياهه الباردة ، بدون جهد يُذكر ، من اعماق المحيط ؛ وباختراع خذروفية تحوّل ، تحت الضغط اليسير ، قوةَ اندفاق البخار الى مفعول ميكانيكي واخيراً الى سائر انواع القوى ؛ الخلاصة بموجب تسخير العوامل الشتى التي تقدّمها لنا الطبيعة ونواميسها .

اذا عُدنا الى ميدان العمليات ، كثرت المصاعب ، وقد اشارت اليها مقالات المخترعَين واجابت على بعضها . لا شك ان مصاعب اخرى ستظهر ، حين يُخرَج المشروع الى حيّز العمل ؛ ولعل هذا هو سبب تأجيل ذلك الاخراج ، حتى يومنا .

اول تلك المصاعب المتوقعة هو الخطر الناجم عن انزال الانابيب الى عمق نحو الف متر ، وتعريضها لهجمات العواصف والتيارات تحت البحر والامواج العنيفة ، الى غير ذلك من قوى اللُجج المجهولة . اكّد بعض الخبراء ان صدمة المدّ او المرج كافية ، فضلاً عن الزوابع ، لتخريب الانابيب . فاجاب كلود ان الهدوء المطلق سائد على المياه ، بعمق ٥٠ متراً ، او مئة ، على الاكثر ، وان الاخطار مقصورة على هذه المسافة فقط . فمن اسهل الوسائط لازالة هذه الاخطار المحدودة ، في المصانع الساحلية ، ان يُحفر تحت الشاطئ نفقٌ طويل ، منحدر ، يُدرك البحر في عمق نحو مئة متر ، تلك المئة المعرَّضة للاخطار ، فيتّصل هناك بالانبوب النازل عمودياً الى عمق نحو الف متر ، كما مرّ بك .

امّا العواصف ، التي في الظروف السابق شرحها ، لا يمكن إضرارها بسوى المصنع ، فيؤمّل كلود ان رسوخ البنايات يردّ صدمتها . ذلك جواب معقول ، لكن تأثيرات التيارات تحت البحر ، والغِمار الشديدة العمق ، وحركات المدّ والجزر في مستوى ادنى من مئة متر ، يصعُب تقديرها بالضبط ، قبل إخراج

المشروع الى حيز العمل ؛ بل انها تختلف — ولا شك — باختلاف احوال المصانع .

هناك اعتراض آخر ، مختص باستخراج مياه اعماق البحر لتبريد المكثف : أصحيح ان هذه العملية لا تزيد نفقتها ؟ أ اذا كانت تلك المياه في سطح البحر ؟ اجل ، ان مياه السطح الفاترة ، الداخلة في المرجل ، بكمية هائلة ، لتتحول فيه الى بخار ، تحدث في البحر فراغاً تسده المياه الباردة ، بصعودها من الاعماق البعيدة ؛ ولكن هل تدرك المياه الباردة السطح نفسه ؟

لا نرتئي ذلك ، فانها اكثف من الفاترة ؛ وفي الدرجة ٤ من الحرارة — وهي درجة المياه بعمق نحو الف متر — تبلغ الكثافة حدها الاقصى . بالنظر الى هذا العامل ، تدل الحسابات على ان المياه الباردة ، في صعودها من قعر البحر ، تقف على نحو متر من سطحه . يترتب على ذلك ضرورة بذل قوة اضافية لاستخراج ذلك الماء . على كل حال ان تلك القوة يسيرة ، ويخفف محذورها كونُ المياه السطحية اكثر احتواء من المياه العميقة للغازات المتحللة ، الامر الذي يزيد كثافة المياه الاولى ، فيمكن اعتبار المياهين بمستوى واحد ، على وجه التقريب .

كذلك في البون بين درجتي حرارتها مشكل آخر : حين يصعد الماء البارد من الاعماق ، يسخن رويداً في مسافة الالف متراً التي يقطعها ، فيعود لا يبرد المكثف بمقدار كافٍ . يجيب كلود على هذا الاعتراض الصائب بامكان جعل الانابيب من مواد غير ناقلة للحرارة ، وتكبير قطرها الى حد لا يقل عن خمسة امتار ، فيصير تبرد تلك الكمية الهائلة من المياه في حكم العدم . ثم يزيد ان مدة صعودها الى السطح لا تتعدى ساعة ؛ وهو زمن يسير جداً ، لا يكفي لتدفئها بمقدار عشر درجة ، في أوفق الظروف . بل ان تلك المياه المضغوطة في الاغوار البعيدة ، يزيد انبساطها بنسبة درجة صعودها ، وذلك الشغل الخارجي يخفض حرارتها ، بمقدار نحو ربع درجة . الحق يقال : الاعتراض الاخير لا اساس له اصلاً ، لا في الاجراءات العملية ولا في التوقعات النظرية .

بقي اعتراض جديد ، وهو ان مياه المرجل السطحية تحوي غازات متحللة فيها ، تنطلق مع البخار . فنتيجة ذلك هي عدم كفاية فراغ الجهاز من كل

انواع الغازات ، وبالتالي تعذّر غليان المياه السطحية بدرجة ٢٦ من الحرارة ، ما لم تُعَدْ عمليةُ التفريغ من حين الى حين . على كل حال نُجبَر على بذل قوة اضافية ، اذ نحن بين امرين : أمّا اعادة التفريغ ، واما إبعاد الغازات المتحلّلة ، قبل نقلها الى المرجل .

الاعتراض صائب ؛ وبحسب تقدير الفنيين ، تقتضي هذه النفقة الاضافية ما بين ٣٠٠ و٥٠٠ بالمئة من القوّة الناتجة عن دوران الخذروفية ! فهل تُزيل هذه الصعوبة كلَّ الامانيَ الجميلة المبنيّة على اختراع كاود ، بحيث تتحول الارباح البديهية الى خسارات باهظة ؟ ان المخترعين لا ينكران حقيقة ذلك الاعتراض الكبير ، لكنهما يصرّحان بامكان حل المشكل عملياً ، وخلاصة ذلك الحل تسخين المياه السطحية ، تحت الضغط المعتاد ، قبل نقلها الى المرجل ، الامر الذي يخفض كثيرًا نفقات ذلك النقل ويزيد صعوبة انفصال الغازات المتحلّلة عن المياه . فضلًا عن ذلك ، ان استخدام ضاغطات دائرة (compres-seurs rotatifs) يقلّل تلك النفقات . وقد دلّ اختبار المخترعين على امكان إسقاطها من ٥٠٠ بالمئة الى ١٠ بالمئة ؛ وهو حدّ يجعل مشروعهما مقبولًا . لكن الاختبار أُجري بالماء المعتاد ؛ فهل يبقى مفعوله في مياه البحار ؟ الله اعلم . مهما يكن من الامر ، ان مقدرة المخترعين تدعونا الى امل كونهما يحلّان ما يعترضهما من المشاكل الجديدة .

رغم سهولة المشروع والأجوبة السديدة على الاعتراضات وفخامة النتائج المتوقّعة ، لم يُحاوَل ادنى تحقيق له . يلوح لنا ان ما يحول دون التحقيق ليس الظروف المبحوث فيها — فقد امكن حلّ مشاكلها حلًّا لبقاً ، مشيرًا — انما الحائل هو الظروف غير المتوقّعة . قبل الاندفاع في مشروع كهذا ووضع الوسائل فيه ، يجب الاهتداء الى اساس راسخ يُستند اليه ؛ وذلك لا يتسنى الّا بعد التجربة العملية ، اعني بعد المخاطرة بمبلغ كبير . فاذا لم يجسُر احد عليها ، بقيت حالة الجمود ثابتة ، وظلّت اجمل المشروعات النظرية حبرًا على ورق . هنا آفة اكتشاف كاود وبوشرو ، اذ فيه من الجسارة ما يُثير الشكوك ، ومن الابتكار ما يميل بالناس عن اختبار لم يسبق له مثيل . مهما اكّد المخترعان

ان جرأتهما لا تُقاس الى التي وصلت القارّات بالقلوس التلغرافية الاولى ، فان الجمهور يبقى على شكّه وتردّده . فوالحالة هذه ، لا يُقدم احد على التجربة ، ولا يزال بعيدًا موعدُ ايجاد القوّة بهذه الواسطة.

* * *

لماذا نُحجم عن التوسل بذرائع ابسط واقرب منّا ، وإن كانت اقلّ إنتاجاً ان ارقى امم العالم في استخدام قوّة مدّ البحر ، في مصنع آبر ڤراخ (Aber Vrac'h) لا تقدر ، بحسب ما يظهر ، على انتاج القوّة رخيصة ؛ فالكيلووات بسبب نفقات التجهيز الباهظة ، يبلغ ثمنه ما بين عشرة وخمسة عشر الف فرنك، بدلًا من نحو ١٥٠٠ ، في مشروع كلود وبوشرو !

كذلك تقتضي مُعدّات استثمار قوّة الشلالات بذل الاموال الطائلة ؛ وفي ايامنا قد تباطأت حركة الاشغال ، بتأثير الازمة الاقتصادية. رغم ذلك ، يزيد احتياجنا الى قوّة رخيصة ؛ فلماذا لا نتوسل بمشروع المهندس كنستنتان (Constantin) المختصّ بقوّة طبيعية اقلّ وفرة واطرادًا ، لكنها ، في بعض البلاد ، من اكثر القوى فائدةً ، اعني قوّة الرياح ؟ سنعود الى تفصيل هذا المشروع ، في مقالة اخرى . الآن يكفي ان نصرّح بانه من الحكمة ان نستثمر قوى الطبيعة التي تحت يدنا وقليلة النفقة ، بدلًا من اضاعتها ، ما دمنا غير متجاسرين على الاندفاع في مشروعات استثمار ، ذات ارباح وافرة ، ولكنها تقتضي بذل رسمال طائل ، مع ما في ذلك دائمًا من المخاطرة.

الحسابات المُقنعة والتجارب المُجراة تحت مراقبة مكتب الاختراعات القومي ، تجعلنا نقدّر نفقة إنتاج الكيلووات ، على طريقة كنستنتان ، بما لا يزيد عن الف فرنك . يكفي اقامة خذروفية هوائية على عمود تركيز (pylône) ، لا غيرُ . هو امر اسهل وارخص من ان يُثير همّة مروّجي المشروعات التجارية وجامعي رساميلها . وما زالوا مُعرضين عن مشروع كنستنتان ، فمن المحال ان تنتصب الخذروفيات الهوائية من تلقاء نفسها ؛ والريح التي صارت لا تطحن قمحنا ولا تدفع بواخرنا ، ستواصل مرورها سدًى فوق رؤوسنا . . .

(للبحث صلة)

مجلة المجلات

للاب توتل اليسوعي

مكتبة الفاتيكان — الاسلام والخلافة — سعد زغلول واخلاقه الدينية — الوطنية الصامتة
هل من عقل للبهائم

مكتبة الفاتيكان

يرقى عهد مكتبة الفاتيكان الى عصور البابوية الاولى؛ لكنها لم تدخل في طورها التاريخي المرسوم إلّا لما وضع لها البابا مرتينوس الخامس (١٤١٧-١٤٣١) نظامها الخاص، فاخذت تزداد وتتسع، فكان فيها من المخطوطات اللاتينية واليونانية ثلاثة آلاف وخمس مئة في ايام البابا سكستوس الرابع (١٤٧١-١٤٨٤) اما في يومنا فيبلغ عددها الخمسين الفاً.

ومكتبة الفاتيكان مفتوحة دوماً للزوّار وللمطالعين، فالزوّار يقصدونها من وجهة البساتين، يجتازون اليها قاعات مغشاة الجدران ببدائع التصاوير معروضة فيها المخطوطات النادرة الثمينة، مع الهدايا التي اتحف بها الملوك الاحبار الاعظمين على مدى الدهور. اما المطالعون فيجدون في قاعة واسعة نيّرة كل ما يحتاجون اليه للقيام بمهامهم.

وقد ضاقت المكتبة الفاتيكانية على رحبها بمحتوياتها الجليلة. فهمّ الاب الاقدس البابا بيوس الحادي عشر بتوسيعها، وغيرته عليها مشهورة لان امرها كان معهوداً اليه قبل ان يرقى السدة البطرسية. فحدثت مجلة الهلال قراءها في هذا الموضوع وقالت (فبراير ص: ٤٤٦)

« ان قداسة البابا قد امر بتنظيم مكتبة الڤاتيكان واوفد الى اميركا بعثة لدرس التنظيمات الحديثة في المكاتب لكي يعمل بها في مكتبة الڤاتيكان نفسها فيجد فيها الباحثون من العلماء في مختلف مخطوطاتها ومطبوعاتها ما يكشف

لهم عن التاريخ القديم وخاصة تلك الفترة التي تقع بين القرن الاول للميلاد وقرن النهضة.

ونحن هنا في مصر بل في العالم العربي كله يجب ان نهتم لهذا المشروع فان في مكتبة الفاتيكان نحو ٣٥٠٠٠ [بل ٥٠٠٠٠] مخطوط منها عدد غير قليل من الكتب العربية القديمة التي لا يوجد مثلها في العالم كله. ويجب ان نذكر ان الكتب العربية طبعت لاول مرة في التاريخ في ايطاليا وربما كان باباوات رومية اول من طبعوا كتاباً عربياً في العالم.

ويسأل صاحب المقال هل يؤول كشف اسرار المخطوطات القديمة الى ما يغير معارفنا عن خطط التاريخ المسيحي. فنجيب انه لم يظهر، ولن يظهر مخطوط، ينفي حقيقة وجود نابوليون بونابرت لانها ثابتة ثباتاً علمياً في جوهرها وان اختلف المؤرخون في رواية بعض اعراض حياته. وكذلك لا سبيل الى المناقشة في صحة ما اتفق عليه المؤرخون المنصفون من الحقائق التاريخية المشهود لها شهادة لا ريب فيها كحياة السيد المسيح الاله الانسان. فان كل ما ظهر من دفائن الاثار القديمة يزيد تلك الشهادة قوة وصدقاً.

وقد نؤاخذ صاحب الهلال فيما قاله عن مقاومة الكنيسة للمطبعة عند ظهورها وكلامه مناقض للحقيقة. واليك ما قاله البابا لاون العاشر (١٥١٣-١٥٢١)

« المطبعة هي التحفة التي اهدتها السماء الى الارض، والتي لجدت للجنس البشري وللكنيسة منافع جمة جسيمة اذ بها تصبح الكتب قريبة المنال من الخاصة والعامة فتنور العقول وتثقف الاذهان وتمهد السبيل الى نشر تعليم الايمان وهداية النفوس »

على ان بعض الذين تولوا شؤون المطابع استعملوها آلة للفساد والضلال فلا عجب ان وضع الباباوات قوانين لنشر الكتب اتقاء من شرها ونعم ما فعلوا. وهذا عين ما تفعله الحكومات العاقلة في ايامنا

الاسلام والخلافة

وصفت المنار لمكاتبها (نوفمبر ١٩٢٧) حالة الاسلام، فطرأت فضائله في الانسان والعمران، وذكرت ما امر به وما حث عليه. وما انتهى اليه الامر من تفرق كلمة المسلمين وتخاذلهم، الى ان تكلمت في امر الخلافة فروت اولاً اقتراح المحرر، قال:

« بينما نرى تركية قد ادبرت عنا وشغفت بمظاهر الغربيين اذ بايطالية ترسل

عمّاربها باليمن وانكلترة تحاول ان تُخادع ابن سعود وتظفر به ... يجب

ــ الاسراع في تنصيب خليفة المسلمين الذي يكون بالانتخاب كما كانت الطريقة المتبعة لدى الخلفاء الراشدين الاربعة لا بطريق الذرية والوراثة

ــ ان يكون المرشحون للخلافة من اساطين العلماء الجهابذة ذوي العبقرية على ان يكونوا من ذوي الجد والهمم والارادة القوية والعزيمة الماضية العاملين، الممتازين بماضيهم المجيد المعروف، وكفاءتهم الشخصية ومقدار ثقة الشعوب فيهم من سائر الممالك الاسلامية على السواء.

ــ ان يكون مقرّ الخليفة القاهرة ويكون مجرّدًا من السلطة الاجنبية او في اي قطر مستقل وان يسري نفوذه الديني لدى جميع المسلمين على نص الشرع والسنة

ــ ان يكون للخلافة مجلس اعلى يسمى مجلس الخلافة ينعقد في اوقات مخصوصة معينة برئاسة الخليفة ويكون له عن كل قطر اسلامي نائب او اكثر للنظر في شؤون الاسلام والمسلمين المادية والمعنوية »

فاجاب صاحب المنار على ذلك الاقتراح وقال :

« ان كل جملة من رسالتكم تدل على معرفتكم بحال امتكم وعصركم الا هذه الاقتراحات في الخلافة، من ذا الذي ينصب الخليفة ؟ من ينتخبه ؟ من يرشح جهابذة العلماء ذوي العبقرية للانتخاب ؟ اي مملكة ترضى ان تكون مقرًا لخليفة منتخب غير ملكها او اميرها ؟ اما قرأت يا اخي ما كتبته الجرائد المصرية من الطعن بمؤتمر الخلافة والسخرية من كبار العلماء لتأليف هذا المؤتمر ؟ اما سمعت صياح ملاحدة مجلس النواب في انكار صرف مبلغ حقير من الاوقاف الخيرية على هذا المؤتمر اتباعاً لملاحدة جريدة السياسة ؟ »

سعد زغلول والخلافة الدينية

وخصص بمقالة سعد باشا زغلول فقال :

« ان سعدًا دخل في اطوار التفرنج في معيشته وافكاره الاجتماعية

والقانونية وغلبت نزعة الوطنية المصرية عنده على فكرة الجامعة الاسلامية ...
ولا تعلم انــهُ كان يذهب الى المساجد الا في بعض الاحتفالات الرسميّة في عهد وزارته وبعض صلوات الجمعة في زمن زعامته ، وانكر عليه اهل الدين اموراً منها عمله في تجرئة النساء على السفور المتجاوز للحد الشرعي ولكنه قاوم الدعوة الى لبس البرنيطة.»

الوطنيّة الصامتة

نقتصر تحت هذا العنوان بعض ما اقتطفناه من مقال في مجلة الكشاف، موقع باسم الآنسة عنبرة سلام، وفيه وصف شائق لبلاد الانكليز :

الحرية الشخصية « ممنوحة فيها باوسع معانيها لكل انسان ما دام لا يخلّ بالنظام ولا بالآداب العامة ولا بالامن

والعمل منظم : تــدخل محطة القطار فتجد الناس يتراكضون الى شباك التذاكر ، حتى اذا اربوا على اثنين او ثلاثــة الفوا صفاً يقف في مؤخره دائماً القادم الجديد ولا يخطرنّ في باله ان يحاول التقدم على سابقه مهما كان باعثه شديداً ، ولا تجد ازدحاماً على امر مهما يكن تافهاً الّا الف الصف حالاً كانه بإشارة مدرسية خفية

ومن تهذيبهم الراقي ان بائع الحليب يمر على الابواب ويترك مطلوب كل بيت من زجاجات الحليب مملوءة دون ان يطرق الباب ودون ان يخاف عليها السرقة او التحطيم بل اعظم من ذلك ان تدخل بيتاً جامعاً لسكان مختلفين فتجد طاولة امام باب المدخل عليها قائمة كل منهم لحساب الغسيل وقــد وضع كلٌ الدراهم المطلوبة منه فوق قائمته دون ان يخطر في باله التحفظ من سرقتها او من سوء امانة مستلمها

ومن وطنيتهم الصامتة ان الأمة باجمها تسند الحكومة بذراع متين اذ انهُ لما اضرب العمّال واعتصبوا وشلّت يد الحكومة في جميع انحاء البلاد وتعطلت حركة السير تطوّع الشبان لخدمــة البوليس ووضع كل صاحب سيارة نفسه وسيارته تحت اشارة الشعب واستلمت الفتيات النبيلات ادارة توزيع الاعاشة .
وهل ادلّ على هذه الوطنية الصامتة من تلك التبرعات الدائمة بارقــام ضخمة

للخزينة دون ان يذكر معها اسماً ؟ ان الضرائب تجبى — وكل انسان يتملل من الضريبة — فيتلقى وزير المالية كل يوم مبالغ عظيمة وطفيفة من مجهولين يعتقدون ان هنالك خطأ في الحساب المتوجب عليهم فهم يسددون ما بذمتهم من دين مفروض وان زوجة رئيس بلدية لندن ترسل نداء تستندي به الاكف لمساعدة البائسين بهدايا صالحة لعيد الميلاد فيأتيها في خمسة عشر يوماً ثلاثون الف هدية عدا ما جاءها من اموال

كنت اشهد هذه المشاهد كل يوم فتنتابني رجفة اسى على بلاد تعسة انتمي اليها ، لا نفقه فيها للوطنية معنى

هل من عقل للبهائم ؟

في هذا العصر الجديد ، عصر العجائب والغرائب ، عصر الطيارات والتلفون اللاسلكي ، عصر الاخاء والمساواة ، لماذا لا ينحني ابن آدم على الحيوان ويصافحه اذا وجد فيه تلك المزايا البشرية التي تقربه الى الانسان ؟ اذا اكتشف في حركته ، واستنتج من اصواته ، او من تكشير انيابه ما ينم عن عقل ؟ تلك هي النتيجة المؤدي اليها مقال المتصف في الكلب الذي يتعلم القراءة :

هذا الكلب لم ينشأ ان اظهر علامات الذكاء المختصة بابن آدم . هذا الكلب هو « اليف من الكلاب الصغيرة التي لها شعر طويل جعد وهي مشهورة بشدة نباهتها » تعلّم ان يميز بين الاوراق المكتوب عليها باحرف كبيرة كلمات الاكل والشرب فيا له من كلب نابغة . يعرض حاجته الى الطعام والشراب بورقة معينة مكتوبة يحملها الى صاحبه . فلتخجل دونه سائر الكلاب وخاصة تلك « الكلبة من الكلاب الكبيرة التي كانت ترى هذا الكلب يجلب القطع من الورق ويعطى الطعام فلم يخطر ببالها ان تفعل فعله مع انها رأته يفعل ذلك مراراً لا تحصى » تبًا لها من كلبة عجماء

اما الهلال فلا ريب عنده ان الجواد يضحك ، والقطة تضحك ، والقفة تضحك ، والشبترى تضحك ، والكلب يضحك ، واذا خالجك ادنى ريب في صحة زعمه فحسبك النظر الى الصور التي نشرها وهي تبين تلك البهائم ضاحكة وان اعترضت قائلاً ان الضحك هو مزية ابن آدم الخاصة الدالة على النفس الناطقة . . اجابك نعم ولكن كان ذلك في العصور القديمة المتقهقرة — اما الان ونحن في عصر النور والمساواة فلا عجب بان تحاكي البهائم البشر عقلاً وذكاء

مطبوعات شرقية جديدة

Altorientalische Texte und Bilder zum Alten Testament, *herausg. v.* **Hugo Gressmann.**

I. Texte, *in Verbindung mit* **E. Ebeling, H. Ranke** *u.* **N. Rhodokanakis,** X-478 *pp. gr.* 8°

II. Bilder, X-224 *pp.*, 678 *fig. en* 260 *pl.*, 1 *carte. Berlin, W. de Gruyter u. C°*, 1926-1927. *Prix:* 70 *Marks.*

نصوص وصور لفهم العهد القديم

يسرّنا ان نقدّم لقرّائنا هذا الكتاب النفيس للدكتور غريسمّن ، الاستاذ في برلين ، الذي توفي مؤخرًا في اميركة . وهو كتاب يهمّ خصوصاً شرقنا العزيز ، وتلزم مطالعته المستشرق ، ومؤرخ الديانات القديمة ومؤرخ الفنّ وامثالهم . وامامنا الآن الطبعة الثانية للمجلّدين اللذين ظهرا بالعنوان نفسه سنة ١٩٠٩ . على ان هذه الطبعة الجديدة قد نُقّحت وحُسّنت وزيد عليها بطريقة تمكننا ان نعتبرها تأليفاً جديدًا موقوفاً على احدث الاكتشافات الاثرية في الشرق الادنى . ولكي يصل المؤلف الى غايته فقد استعان ، كما فعل في الطبعة الاولى ، ببعض الاختصاصيين ، فعاونه السيد ابلنغ (Ebeling) في النصوص المسمارية ، والسيد رانكه (Ranke) في النصوص المصرية ، والسيد رودوكاناكيس (Rhodokanakis) في نصوص بلاد العرب الجنوبية . وهذه النصوص العربية تظهر لاول مرة في الكتاب فتزيد فائدته .

لا يجهل قرّاؤنا الكرام اننا كي نتمكن من فهم تاريخ شعب من الشعوب وفكرته الدينية والادبية وحياته اليومية وبكلمة واحدة مدنيَّته ، يلزمنا ان نضعه في بيئته الخاصّة . والحال ان اسفار العهد القديم لا تفيدنا ، قبل كل شيء ، الّا معلومات دينية وتاريخية . ثم ان الحفريات التي أُجريت في فلسطين لم تفدنا كثيرًا من المعلومات عن بني اسرائيل خاصّة . وعليه كان من الواجب ان تتجه الانظار الى ما حول ذلك : من جهة ، الى مصر وقد كان للعبرانيين كثير من العلاقات المتينة مع هذا البلد . ومن جهة اخرى الى بلاد الدجلة والفرات وهي مهد ابراهيم ابي العبرانيين . واخيرًا الى البلاد السورية والفينيقية

والعربية جارات فلسطين. وقد كان لكل من هذه الجهات ثقافتها الخاصة. وان لم يكن بالامكان ان يُعرف دائماً مقدار التأثير الذي احدثته في تاريخ شعب الرب وتطوّر ثقافته، فلا اقلّ من ان يُستفاد بالمقابلة اهمّ مظاهر آداب كلّ منها والآثار التي تركتها لنا والتي تزيدها يوماً فيوماً الحفريات الحديثة.

فاستناداً الى هذه الفكرة قسم الكتاب الى قسمين: النصوص والآثار. اما النصوص فهي: المصرية، والسومرية، والبابلية، والاشورية، وبعض نصوص حثية (وهي المكتوبة بالخط المساري). والفينيقية، والعبرانية (وهي غير نصوص العهد القديم) والعربية الجنوبية. واما الآثار فتشابه النصوص. وقد رُتّبت جميعها بحسب المواد. فوضعت النصوص الدينية اولاً، فالاساطير، فالحكايات، فالتاريخ، فالشرائع... الخ وقد نُظر خاصة في اختيارها الى فائدتها الصريحة في فهم التوراة. على ان المقاطع التي لا علاقة ظاهرة بينها وبين ديانة بني اسرائيل، ولا تاريخهم، ولا حياتهم الخاصة يمكنها ان توضح العهد القديم بالتضادّ اذ تظهر الفروق التي كانت تميّز العبرانيين عن جيرانهم من الشعوب. وقد اقتصر المؤلفون على اعطاء افضل الترجمات مع بعض شروح مقتضَبة، ومراجع كاملة الى احدث المؤلفين في هذا الموضوع. وقد رأينا في هذا المجموع كل المكتشفات الحديثة تقريباً مثل امثال أمنوبه وكنوز توتنخ امون فيما يختص بمصر؛ وخرائب أور وطن ابراهيم فيما يختصّ بما بين النهرين؛ والقوانين الاشورية والحثية فيما يختص ببلاد أشور والاناضول؛ وناووس أخيرام وغيره من آثار بيبلوس فيما يختصّ بفينيقية؛ وحفريات بيسان الجزيلة القدر فيما يختصّ بفلسطين... الخ اما عدد الصور فقد جاوز ضعف ما كان عليه في الطبعة الاولى، بيد ان بعضها حُذف بصواب. من ذلك الاسطوانة (cylindre) رقم ٢٢٦ (في الطبعة الاولى) ولم تكن الّا تزويراً، ومسلّة الفرزل (البقاع) رقم ١٣٤، وكانت صورتها غير موافقة. وفي قسم الصور هذا نرى الشروح وافية مسهبة جزيلة الفائدة لمن ليس لهم معرفة كافية في الآثار القديمة. والخلاصة ان هذا الكتاب مفخرة للمؤلف وللطابعين، واننا نتمنى ان نرى نظيره في لغتنا العربية

س. د

J. R. Mucke: Die Urbevölkerung Griechenlands und ihre allmähliche Entwickelung zu Volkstämmen. 1[er] *Halbband, mit d. Bildn. d. Verfass.*, 8°, 328 *pp.*, *Leipzig*, *Osw. Weigel*, 1927.

سكان يونان الاصليون وتطورهم المتدرج الى جماعات من الشعوب . بقلم الاستاذ موكه

كان مؤلف هذا الكتاب ، المتوفى سنة ١٩٢٥ ، استاذاً للجغرافية وعلم السُلالات البشرية في جامعة دوربا (ايڤونيا) القديمة الشهيرة . وقد اشتغل في مؤلفه هذا حتى آخر ايامه ، فتركه بين ايدي صالحة قدّمت لنا اليوم منه القسم الاول منه ، وستقدّم القسم الثاني قريباً

يبدأ الاستاذ موكه بعرض آرائه في الازمنة السابقة للتاريخ وفي السُلالات البشرية ، من سنة ١٨٩٥ الى سنة ١٩٠٥ في سلسلة مؤلفات نفدت كلها واصبحت اليوم نادرة الوجود الّا في مكاتب اوربة الكبرى . اما المسألة الخاصّة التي يتعرّض لها في كتابه هذا فهي من المسائل التي شغلت مؤرخي اليونان من عدة سنين وخصوصاً منذ ظهور المؤرخ الانكليزي غروت (Grote) في اوائل القرن الماضي . وهي لم تنل حلّها بعد . وقد اتخذ المؤلف شعارًا له انه « كي يفهم الانسان امرًا ما ينبغي له ان يتتبّعه في جميع تطوّرات ميلاده . » وعليه فهو يبدأ عمله بفصل اول في المصادر ، والموادّ ، وعرض المسألة ، ويبيّن بالتفصيل ان زمن اليونان السابق للتاريخ ان هو الّا تاريخ تطوّر العناصر التي يمكن تميزها في التقاليد ، والخرافات ، والآثار القديمة في البلاد . ثم يطرح في الفصل الثاني هذا السؤال : ما هو الشعب ؟ ويجيب : ليس الشعب وحدة تامّة . بل يلزم التفتيش عن جميع العناصر التي كوّنت هذه الوحدة والتمييز بينها . ويعرض مثلًا على ذلك حالة الفرس والحمار : ولا ريب بالقرابة بين هذين الحيوانين . ولكن هل هما مولّدان من جدّ واحد : لا ! وفي الفصل الثالث يدرس اقسام القاطعات عند اقدم سكان اليونان فيعتبرها ضمن بيئاتها الاولية المختلفة ، وطرق سكناها ، وعاداتها ، وانواع اعمالها ، وانظمتها

وسيأتينا القسم الثاني من المؤلف بنتائج الكاتب : نحن ننتظره ليمكننا اصدار حكم عام عقلي ومقرر

من . ر

M. Asin Palacios: Dante y el Islam (*Coleccion Hispania*). *Editorial Voluntad, Madrid*, 1927. *Prix* 5 *pesetas*

دانتي والاسلام

هو اسين الانباء المستشرق واحد الاعلام المتخصصين في فلسفة الاسلام وفي طرائقه الصوفية ، له في الشاعر دانتي رأي مخالف لمذهب العلماء في امر « الالعوبة الالهية » (La Divine Comédie) فانهم يرون ان مواضيعها مقتبسة من الاساطير الشائعة في اوربة في القرون الوسطى . اما المؤلف فيقول ان الشاعر الايطالي استوحى شعره من «اسراء ومعراج» نبي المسلمين ومن مجموعات الحديث وانه استناد في عدة مواضع من الحكايات السائرة في المسلمين عن الحياة الاخرى من امر الجحيم والسماء والطهر وغيره . ودليله على ذلك ان التشابه بين اقوال المسلمين وبين رواية دانتي لهو اكثر من ان يحصى فلم يصبه الشاعر عفواً وصدفةً ولكن عمداً . اما نحن فنجلّ المؤلف ونقرّ له بسعة المعارف والتضلع من علم الحديث الاسلامي لكن حجته هذه واهية البراهين فلم تقنعنا على ان آل المطالعة والتنقيب اختلفوا في حل هذا المشكل وانما اشرنا اليه لما فيه من الوثائق والتعليمات المفيدة للقارئ الراغب في الاطلاع على قضية يتجادل فيها العلماء . ل

Gérard de Nerval: Voyage en Orient suivi d'Isis, *texte intégral établi par* Jean Chuzeville, *orné en gravures au burin, d'un frontispice et d'un portrait* — 3 *vol. in*-16, 1927-*Paris. Editions Bossard.*

رحلة جيرار دي نرفال الى الشرق

كانت نسخ هذا الكتاب قد نفدت من زمن بعيد فاعادت طبعه شركة بوسار في مجموعتها المسمّاة « افضل المؤلفات بنصّها الافضل » فاذا به جميل الظاهر ، جيّد الورق ، واضح الحرف . وقد اهتُمّ كل الاهتمام في اعادة نصّه الاصلي بعد ان قُدّم عليه مقدّمة ولائحة بالمآخذ فظهر من افضل كتب الكاتب .

ويمكننا القول نفسه عن الكتاب التالي وقد طبعته الشركة ذاتها في المجموعة ذاتها :

Prosper Mérimée: Mateo Falcone, Carmen, Columba. *Texte définitif revu sur l'édition originale avec introduction et notes par* **Marie-Louise Pailleron,** *orné,en gravures au burin,d'un frontispice et d'un portrait.* — 1 *vol. in*-16, 1927

ثلاث روايات ابروسبر مريمه

ولا يخفى ان مريمه القصّاص والروائي التمثيلي ينحطّ بسهولة الى تصاوير بعض المشاهد الفاسدة وعليه فلا يمكن الجميع ان يقرأوه . وان افضل ما في هذا الكتاب رواية كرمن ج.ل

J. Froebes S. J. Psychologia speculativa. *t. II, VI et 344 pp. M.* 5, 20; *relié* 6, 70 - 1927-*Freiburg im Breisgau. Herder et Cie*

البسيكولوجية النظرية

وصفنا الجزء الاول من هذا الكتاب في المشرق (٢٥ [١٩٢٧] : ٩٥٣) واذا بالجزء الثاني يتبع الاول بسرعة ، وموضوعه البسيكولوجية الحسية الخاصة : كالحاسة الداخلية ، والحاسة الخارجيـة وباقي القوى الحسّية كالشهوة ، والقوّة المحرّكة ، والعادة ، وكل ما قلناه عن صفات هذا المؤلف في معرض كلامنا عن الجزء الاول ، ينطبق تماماً على هذا الجزء ج.ل

Georges Lanoë-Villène: Le livre des symboles, *Dictionnaire de symbolique et de mythologie — lettre B. - prix* 30 *f*r. *vol. in*-8° *de* 236 *pp.* 1927-*Paris, Editions Bossard*

كتاب الرموز

هو عمل شديد الجرأة أن يريد رجل فرد القيام بتأليف كتاب في الرموز والميتولوجية على شكل قاموس . واذا اراد المؤلف ، كما يظهر في هذا الجزء ، ان يخصص كتاباً كاملاً لكل حرف من الابجدية ، فيكون تأليفه ما يغطي شاعاً برمّته من المكاتب . على انه بهذا العمل ، تُصبح الرموز والخرافات الميتولوجية ، التي كانت ولا تزال من اخصب الموارد في آداب الشعوب المختلفة ولغاتها ، عرضةً لكثير من النسيان والغلط . ومهما يكن من الامر فان هذا الكتاب ، المختصّ بحرف «ب» ، يحتوي على ٣٠٠ مادّة من « bague » (خاتم) الى « bulle » (نُفّاخة) وكلها تُظهر مطالعات واسعة ؛ الّا ان المؤلف لا يُعمل الانتقاد في المعلومات التي يستخدمها ج.ل

Merejkowsky (Dmitri) : Julien l'apostat ou la mort des Dieux. *traduction approuvée par l'auteur, intégrale et conforme au texte russe par* **Henri Mongault**. *in*-12. *Paris, Editions Bossard*, 1927- *Prix*: 12 f^r

يوليانوس الجاحد او موت الآلهة

لمؤلف هذا الكتاب رواية معروفة دعاها « قيامة الآلهة او ليونارد دي فنتشي » وقد ألّف الرواية التي نحن بصددها الآن مقابلة للاولى . وهي رواية كبيرة لا تضعف سلسلة الحوادث فيها رغم التطويل (اذ فيها ٦٦٦ص) اما مشاهدها فاكثرها شرقية تنتقل من كبادوقية حيث يُسجن يوليانوس صغيراً في قلعة ماسأوم ، قرب قيسارية ، الى سهول ما بين النهرين حيث يطلق احد الاعراب سهماً حاداً فيخرق صدر القيصر .. على انّ هذا الرجل المُحاط بالالغاز لا يظهر واضح الاخلاق في الرواية التي نحن بصددها . بل ان الطالع قد يشعر بميل الى يوليانوس وبمماحكة اجحاف بحقّ النصرانية فليتنبه اذاً مطالع هذا الكتاب الذي لا يمكن ان يقدَّم الى الجميع ج . ل

Martin Luthers Leben und sein Werk von **Hartmann Grisar S.J.** professor an der Universität Innsbruck, 2^e *édition* 1927. *vol. gr. in*-8 *de* 596 *pp. avec* 14 *planches hors texte — broché* 13 *mark, relié* 16 *m.*

مرتين لوتير : حياته واعماله

لما ظهر هذا الكتاب لاول مرة ، اتحدت الصحافة البروتستانية والصحافة الكاثوليكية ، لاظهار ما له من الاهمية ، وما فيه من عدم التشيّع . وفعلاً فان المؤلف نال ، في هذا الموضوع ، مقدرة لا يعادله فيها احد ، واشتهر بمؤلفات عديدة مثل كتابه المدعو « لوتير » في ثلاثة مجلدات ومؤلفه المدعو « لوتير الدارس » في اربعة اقسام . اما المؤلف الذي نصفه اليوم في حياة لوتير واعماله ، فانه يُعتبر افضل بحث وضعي في شخصية ذاك المرطوقي الشهير واخلاقه . وهذه طبعته الثانية ، (الالف الخامس والسادس) في غاية الاتقان مزيّنة باربع عشرة لوحة . ج . ل

Camille Meillac : L'Oubli, *broch. in-8° de 20 pp. prix* 1 f, 20 *Paris, Editions Bossard*, 1927

النسيان

اقام مؤلف هذا الكرّاس زمناً طويلاً في المانيا ، فتحقق ان مواطنيه الفرنساويين ينسون سريعاً ، وهو يسألهم ان يحافظوا دائماً على جيش قوي ، وأمل وطيد ج . ل

C. Lavergne O. P. : Synopse des quatre Evangiles en français d'après la synopse grecque du **P. Lagrange** O. P. *pet. in-8° de* 267 *pp.* — 15 f

مجموعة الاربعة الاناجيل

يلاقي هذا الكتاب دون شك كثيرًا من الطلّاب لانه منسّق على اسلوب المجموعة اليونانيّة للاناجيل الذي قام به الاب لاغرانج. وترتيب الكتاب يسهّل للطالع ان يعرف تاريخ الحوادث من حياة السيد المسيح . ويلحق به ثلاثة جداول يختص الاول بترتيب الحوادث على الطريقة التوقيتيّة ، ويُظهر الثاني ما ذكره كل من الانجيليين الاربعة . اما الثالث فيجمع كل الحوادث ، والاطوار ، والامثال ، والتشابيه التي ذُكرت في المتن . ويتبع كل ذلك بعض الشروح والتعاليق مع خارطة لاورشليم واخرى لجغرافية الانجيليين . وبالاختصار فان الطالع يرى ، في حجم لطيف ، آلة سهلة للعمل ج . ل

H. Valloton-Warnery: Sur une six-roues. De Paris au Caire par Constantinople et Bagdad. 58 *ill. et* 2 *cartes. Préface du* G^nl^ Weygand. *in*-12, 1927-*Paris, Berger-Levrault*

على ذات الستة الدواليب

مؤلف هذا الكتاب سويسري كلفته حكومة الاتحاد بعثة رسمية فاتخذ سيارة خاصّة من ماركة رينو (Renault) ذات ستة دواليب مزدوجة اي اثني عشر طوقاً من الكاوتشوك . وسار من باريس بسرعة ٣٣ كيلومترًا في الساعة ، فمرّ في لوزان ، ميلانو ، بلغراد ، صوفيا ، القسطنطينيّة ، انقرة ،

والريانة والذرة الرفيعة والذرة السكرية وذرة المكانس والحلاوة وقصب السكر والسلم — ثم يتناول محاصيل البقول (ص ٣٥٩—٤٩١) من الفول والعدس والبرسيم المصري والبرسيم الحجازي والترمس والفول السوداني والحلبه والجلبان والحمص — ومن ثم (ص ٤٩٤—٥٦٩) محاصيل البصلات (البصل والدرنات (البطاطس) والبذور الزيتية (خس الزيت والقرطم والسمسم) ومحاصيل الصباغة (الحنا) واخيراً محاصيل الالياف (٥٦٩—٧٢٦) الكتان والقطن والتيل

ويعالج كل نوع من هذه الانواع معالجة علمية فيعرّفه الى القارئ ويبيّن له منزلته في علم «البوتانيقا» ويذكر اصنافه وتاريخه وشروط مناخه وتوزيعه وارضه وزرعه وما يحتاج اليه من عناية خاصة ومن ريّ، وكيف يكون امر حصاده واستغلاله الى غير ذلك مما يجعل هذا الكتاب مفيداً جداً ليس فقط للطلبة ولكن للمزارعين ولكل اديب يرغب في الالمام بشيء من علم الزراعة. ولم يكن بدّ للمؤلف من وضع الاصطلاحات العلمية الافرنجية بحرفها اللاتيني فوضعها، والكتاب متقن الطبع مرتب باسلوب سهل المطالعة . فنشكر للمؤلف هديته ونتمنى له ملازمة عمله الخطير فيتحف العربية بمجموعة فريدة في شأنها نحن في مسيس الحاجة اليها ف. ت

مجموعة خطب

محمد طلعت حرب بك

مطبعة مصر ١٩٢٧ – ص: ٣٥٦ كبير

السيد محمد طلعت حرب بك، نائب رئيس مجلس ادارة بنك مصر، وعضو مجلس ادارته المنتدب، من كبار ماليي القطر الشقيق . وقد حملته الظروف على القاء عدة خطب في امور البنك المذكور وغيرها من الشؤون المالية والاقتصادية . فجمعت له شركة مطبعة مصر تسع عشرة خطبة قاه بها بين سنة ١٩١٣ وسنة ١٩٢٧. واثبتتها في هذا المجلد الجميل الظاهر الجيد الورق فجاءت وثائق قيمة لتاريخ بنك مصر. ولآراء المالية والاقتصادية . وقد أضيف الى

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ كانون الثاني — ١٥ شباط

للاب لويس معلوف اليسوعي

كانون الثاني

١٥ : اشترت شركة جوديةاميركية الحقوق التي لشركة عربية في تشغيل الحمامات الحارة في طبرية — اقيم في مدرسة الحكمة في بيروت مهرجان ادبي عظيم للشيخ عبدالله البستاني احتفالاً بيوبيله خمسين سنة قضاها في خدمة اللغة العربية

١٦ : ظهر الطاعون في عدن — بدأ تسيير القطر السريعة بين طرابلس والاستانة فأوربة — وافق البرلمان العراقي على اعطاء الملك علي ، ملك الحجاز السابق وشقيق الملك فيصل ، الامتياز بزرع ١٣ الف فدان من الارض بلا مقابل ، مكافأة لخدمته القضية العربية ، وقد احتج عدة نواب على هذا العطاء احتجاجاً عنيفاً

١٧ : سن المندوب السامي الانكليزي في فلسطين قانوناً يلزم باستعمال الموازين والمقاييس والمكاييل المترية ويجازي من استعمل سواها بغرامة قدرها ٢٠ جنيهاً — استجويت محكمة الجنايات في الاستانة الشيوعيين المقبوض عليهم وعددهم ٥٧ فدلت اجوبتهم على وجود جمعية سرية تعمل بمعاونة موسكو على اقامة الشيوعية في تركية والغاء الجمهورية

١٨ : تلقى زعماء المعارضة في روسية اوامر الحكومة بالسفر الى جهات بعيدة ليقيموا فيها اقامة اجبارية الى اجل غير معين

١٩ : حلّ البرلمان العراقي — تنتشر الفتنة سريعاً على الحدود الايرانية بالقرب من شط العرب . وقد رفض الفلاحون ، ومعظمهم من العرب ، ان يدفعوا ما فرضته عليهم الحكومة الايرانية وذبحوا في قرية كاسباه جميع موظفيها

٢٠ : أرسل خبيران من باريس الى الاستانة وانقرة لمعاينة كنوز آل عثمان وبحثها وتقدير قيمتها ، وكانت الحكومة التركية تفكر ببيع جزء منها

٢١ : اثار محمد علي باشا العضو في مجلس النواب المصري قضية الاوقاف الاسلامية ، وهي شطر كبير من ثروة مصر العقارية ، واقترح الغاءها . وكان النواب ميالين الى قبول الاقتراح ، لكن رجال الازهر وعلماء الدين عارضوا المشروع معارضة شديدة

٢٢ : وصل الى القاهرة العلامة الاثري مسيو شابينا موفداً من لدن الحكومة الفرنسية للسعي في نشر الكتابات القديمة المنقوشة على معبد ادفو

٢٣ : قمعت الجنود الايرانية فتنة فلاحي العرب الذين ثاروا على الحكومة لزيادتها الضرائب — طلبت لجنة المجلس الوطني التركي ، المكلفة تحقيق الاختلاسات المتعلقة باصلاح الدارعة الالمانية غوبن ، اصدار حكم شديد على احسان بك وزير البحرية السابق ومعاقبة اثني

عشر ضابطاً من كبار ضباط البحرية – اعلنت شركة كوك انها اتخذت التدابير اللازمة لتمكين السياح وغيرهم من زيارة فلسطين وشرق الاردن بالطيارة

٢٤ : تشتد ازمة البطالة بين العملة الصهيونيين في فلسطين

٢٥ : شرعت الحكومة الايرانية تنفذ قانون المعارف العمومية الذي سُنّ حديثاً وهو يحظر تعليم التوراة في المدارس ويجعل تعليم الفارسية الزامياً في المدارس الاجنبية – اعلنت شركة مركبات النوم ، في باريس ، انها ستسيّر من ١ شباط قطاراً ، يسافر مرتين في الاسبوع ، بين باريس والقاهرة (من طرابلس الى حيفا بالسيارات)

٢٦ : بدأت المواصلات اللاسلكية بين انقرة وطهران – وافقت وزارة المعارف المصرية على قبول بعثة من الطلبة قررت حكومة نجد والحجاز ارسالها لتلقي العلم في مصر

٢٧ : اغارت قوة كبيرة من الوهابيين على ارض الكويت وقتلت كثيراً من السكان ونهبت مواشيهم وجمالهم ومقتنياتهم

٢٨ : تلقت مصلحة الآثار المصرية في القاهرة ٤٥ صندوقاً من التحف والآثار التي وجدت في المدة الاخيرة في الغرفة الرابعة بمقبرة توت عنخ امون

٢٩ : اعتقل رجال الشرطة في انقرة مائة عامل متهمين ببث الدعوة الشيوعية ووجدوا معهم منشورات وكتباً واختاماً خاصة بالشيوعيين – احتفل صاحب الغبطة بطريرك السريان الكاثوليك في بيروت بترقية الخورفسقفوس يوسف رباني الى الدرجة الاسقفية على ابرشية حمص وحماة وتوابعهما

٣٠ : نشر في القدس الشريف نص المعاهدة المعقودة بين بريطانية وشرقي الاردن وهو يشبه نص المعاهدة الجديدة بين انكلترة والعراق – اعلن عدد كبير من الفلاحين والشيوخ في جنوب العراق انهم يريدون التخلي عن الجنسية العراقية والاقامة في ايران – اقامت جمعية «التعاون الفكري» في القاهرة حفلة تكريمية لشعراء الكبار شوقي وحافظ ومطران حضرها رهط كثير من اهل الادب والعلم ، شرقيين وغربيين

٣١ : وصل ولي عهد ايطالية الى الاسكندرية على البارجة سان جورجيو فاحتفلت به الحكومة المصرية والجالية الايطالية احتفالاً عظيماً

شباط

١ : بدأ تبادل البرقيات الرسمية والخصوصية باللاسلكي بين انقرة وطهران – اصدرت حكومة قبرس طوابع بريدية جديدة تذكاراً لمضي ٥٠ سنة على الاحتلال البريطاني للجزيرة منذ ما تخلت عنها تركية – اصدرت الحكومة التركية قراراً باقفال مدرسة اميركانية في بروسه بتهمة ان المعلمين فيها حملوا بعض الطلبة القاصرين على اعتناق النصرانية

٢ : وصل الى انقرة اثنان من اعضاء مجلس الادارة لبنك فرنسة والمدير العام للبنك العثماني وعرضوا الاشتراك مع جماعة من الماليين الاميركيين في اصدار قرض قدره ٦٠ مليون دولار لانشاء مصرف تركي للدولة

٣ : الّفت الحكومة التركية لجنة للنظر في انقاص الجوامع في الآستانة

٤ : اقرّ مسلمو الهند مشروعاً لنقل الحجاج من جدّة الى مكة بالطيارات

٥ : امرت المفوضية الفرنسية العليا برفع الحجر الصحي عن البلاد العراقية لثبوت ان قد زال وباء الكوليرا فيها

٦ : الصقت على جدران المحال العمومية في الاستانة منشورات تدعوا السكان ان لا يتكلموا الاّ باللغة التركية – اشتد الطاعون في مقاطعة عدن وكان عدد المصابين في الاسبوع المنتهي في ٥ شباط ٤٦ والمتوفين منهم ٣٣

٧ : احتفل في القاهرة احتفالاً عظيماً بوضع الحجر الاساسي في بناء الجامعة المصرية الجديد – صرح مسيو هريو وزير المعارف في فرنسة بان الحكومة الفرنسية وافقت على مشروع يضمن تعزيز العلاقات العلمية والفكرية بين فرنسة وافغانستان

٨ : رفع سمو الداماد تاج بك رئيس الحكومة السورية الى المفوض السامي استقالته واستقالة الوزارة ، فقُبلتا – أذيعت باللاسلكي من لندرة محاضرة في الشعر العربي القاها السير دنيسون روس – وصل ملك الافغان وعقيلته الى باجيكة

٩ : وصلت الانباء من رومية بان الحبر الاعظم عين الاب جرجس كورتيكيان النائب البطريركي في دمشق مطراناً للطائفة الارمنية في حلب – احتفل في مصر احتفالاً عظيماً بوضع الحجر الاساسي لقناطر نجع حماده

١٠ : تجمهر نحو عشرة آلاف شخص في بغداد منتظرين السير الفرد موند ، آتياً من سورية وفلسطين ، للتظاهر امامه ضد الصهيونية ، ظناً منهم انه جاء ليبث مبادئها بينهم

١١ : اوصت حكومة الافغان بصنع مقدار كبير من المدافع والبنادق والذخائر الحربية في معامل فرنسة – ترك ملك الافغان بلجيكة قبل ان يتم زيارة المدن التي كان في نيته زيارتها وسافر الى سويسرة لمرض ألمّ به

١٢ : قرر المجلس البطريركي الارثوذكسي في الاسكندرية اتباع الحساب الغريغوري ابتداءً من ١ تشرين الاول سنة ١٩٢٨

١٣ : اذاعت لجنة تضامن الازهريين في القاهرة نشرة تقول فيها انها احتراماً لناموس التحول ومحواً للتفريق بين طوائف المتعلمين قد قررت تحبيذ فكرة استبدال الزي القديم بالزي الفرنجي وجعل الزي الفرنجي الزي الرسمي للطلبة الازهريين – قُتل ما يزيد على مائتي شخص في معركة نشبت بين فيصل الدويش وبني صخر بالقرب من حدود شرقي الاردن ، وكان جاء يطلب الجزية من قبائل بني صخر باسم الملك ابن السعود فرفضوا

١٤ : وافق المجلس النيابي اللبناني على قانون التنظيم القضائي الجديد الذي تقرر فيه ايجاد محاكم وطنية ومحاكم اجنبية

١٥ : تألفت الوزارة السورية الجديدة برئاسة الشيخ تاج الدين الحسني – النيت في حكومة سوزية الاحكام العرفية ومراقبة الصحف المسبّقة ، وصدر عفو عام عن زعماء الثورة السورية الاخيرة ما عدا البعض منهم – سنّت الوزارة العراقية قانوناً يقضي بجلد الطلبة الذين يخلون بالنظام اذا لم يكونوا قد بلغوا التاسعة عشرة من العمر .